احمد الصّافي

٢٢٥٢

هزلٌ وجد

مدونة
Riyadh
Hamza

المطبعة العربية - بغداد
١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م

احمد الصافي

مكتبة الدرع ملاية
العدد
الدار

٨٨٢

هزل وجد

المطبعة العربية - بغداد
١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦ م

احمد الصافى

مدونة
Riyadh
Hamza

المقدمة

بقلم شيخ الصحافة السورية الاستاذ يوسف العيس منشىء

الف باء الغراء

اريد بهذه الكلمة ان اقدم للقراء الاستاذ الصافي كناثر بعد ان عرفه الخافقان كشاعر وان اضع توطئة لهذا الكتاب الذي ينشره في ابناء الضاد

اغلب ظني انه لو قدم هذا الكتاب الى الناس غفلا من اسم واضعه لصعب على المطالع ان يحكم في ان الشاعر الصافي هو المؤلف . ذلك لان شاعرنا اتبع فيه طريقة تختلف عن الطريقة التي عرفها منه الجمهور في شعره. فهو في شعره حكيم وهنا نديم هناك مصور يد وهنا مصور فوتوغراف، هناك يصف الحياة كما يريه اياها الهامه الخاص وهنا يقدم الى الناس ما التقطه من شوارد الناس. وبكلمة مختصرة ان الصافي الرزين في شعره ، الكئيب في مناجاته ، الضجر من حياته ، لا تصدق عنه انه واضع هذا الكتاب النثري المرح في دعابته ونكاته ، السخي في جمله وعباراته ، المتوسع في وصفه ونقداته .

انك ستطلع ايها القارىء بهذا الكتاب على مشاهد وشواهد متنوعة وستقف ولا شك في ثلاثة مواضع تجد فيها قصصيا مبدعا في صنعة الروايات يقبض عليك في اول حديثه فلا تتركه حتى تصل الى اخر القصة التي يسردها عليك ، فتسأل لماذا لم يتبع طريقة الشاعر الفرنسي (الفريد ده فيني) ويجمع بين الشعر العالي والقصص الشيقة وهذا اهمال منه نرجو ان يهتم بتلافيه بعد ان نبهناه الى الاستعداد الذي هو فيه .

من صور الحياة

رواية من مشاهد الحياة

الاستاذ الصافي منوم مغناطيسي وولي نبي[1]

— ١ —

المنوم الاجنبي والمنوم الوطني

لا انسى ذلك اليوم الذي رأيت فيه الاعلانات تنشر فى مدينة طهران بسرعة هائلة وبيد موزعين ينشرونها على الناس وهم راكضون وقد استلمت احدها فرأيته ينبيء بقدوم عالم نمساوي كبير في علم التنويم المغناطيسي وقراءة الافكار وسائر الاسرار الروحية التي كان اقلها في القديم كافياً لادعاء الاعجاز فلم يستطع الافلاس الذي كان ضاربا اطنابه على جيبي في تلك الايام ان يمنعني من

---

(١) تحت هذا العنوان نشرت جريدة الفباء الغراء هذه الحكاية وعلقت عليها بما يلي :

« ننشر فيما يلي حكاية وقعت للشاعر الصافي في بلاد ايران وهي تحوي اهم ما يوجد في الحياة من مشاهد ان في الاخلاق وان في الاستهواء وان في الاستسلام عند العامة ، وسيطالع القراء بلذة هذه المشاهد التي تشبه رواية من الروايات »

الذهاب الى حفلة ذلك العالم الروحي المدهشة والتي كان اقلها قراءة الافكار وايقاف النبض واصلاح لسان الألكن وجعل النائم يتكلم بلغة يجهلها في حال يقظته . وما مر على انقضاء تلك الحفلة اسبوع حتى رايت اعلانات اكبر واغرب بصورها من الاعلانات السالفة وهي تبشر الفرس بان لهم مواطنا يستطيع القيام بما هو ادهش واغرب من اعمال ذلك العالم النمساوي والموعد هو اليوم الفلاني . فجاء هذا الاعلان مصيبة اخرى على جيبي بعد ان ثارت بي الغيرة الوطنية ودفعني تيارها الى التضحيـة بآخر فلس لدي في سبيل تشجيع منتوجات الوطن والذهاب الى تلك الحفلة الوطنية ! وعندما اقيمت الحفلة سألت رفيقاً جالساً الى جانبي من ترى يكون هذا العالم المواطن الذي سيرفع رأس الامة الفارسية بغرائب اعماله ؟ فقال هو الدكتور مكرديج العالم الارمني الساكن في طهران منذ سنين . وهنا عرفت معنى الوطنيـة وقلت سبحان الله ابى الله ان نرفع رؤوسنـا امام الغربيين الا بجنس غير جنسنا ولما بدأت الأعمال الروحية تقدم الى المسرح رجل طويل القامة عريض الاكتاف جميل الشكل حسن البزة فقام باعمال انست الحاضرين اعمال ذلك العالم النمساوي فقلت في نفسي وقد خرجت من الحفلة مرفوع الرأس باعمال ذلك المواطن المدهشة ليتني استطيع الوصول الى هذا العالم الروحي ليقوم بمعالجة امراضي العصبية التي اعيت الطب والاطباء . ومرت علي اشهر وشبح ذلك العالم لا يبرح مخيلتي ولكنه شبح مبهم لاني شهدت صاحبه في الليل وفي اثناء الاعمال الغريبة التي انستني صورته وملامحه الخاصة .

ثم اني ذهبت بعد مرور اشهر من تلك الحفلة الى دار صديقي الشاعر الفارسي الملقب بملك الشعراء وهو لقب يقابل عندنا امير الشعراء وشتان بين اللقبين وبينما كنت اتناظر مع ملك الشعراء في مسألة صوفية وما اكثر مسائل التصوف في بلاد الفرس وكنت اجد في اقناعه برأيي ويجد هو في اقناعي برأيه التفت نحوي صديقي الشاعر الفارسي المسمى ريحان منشىء جريدة (الوردة الصفراء) الادبية الفكاهية وقال لي اتدم لك الدكتور مكريج واشار الى شخص جالس بجانبه لم يكن يختلف عن الحاضرين الا بعيونه البراقة وسكونه العميق ونظراته الغريبة ، وما كاد يلفظ رفيقي هذا الاسم حتى اهتزت له اعصابي بهجة وسروراً بالوصول الى امنيتي في التعرف على هذا العالم ، وبعد ان تعارفنا وتبادلنا التحيات المألوفة كان اول شيء فاتحته به هو انني طلبت منه معالجة دائي العصبي عن طريق التنويم فاجابني بلهجة شديدة كلا لا انا ولا ابي نستطيع تنويمك . فقلت له وكيف ذلك وانا اعاني من الضعف العصبي اشده ومن الآلام اقساها . فقال ان ضعف الجسم غير ضعف الارادة وان كثيراً من اقوياء الاجسام هم ضعيفو الارادة . الا ترى انهم ينقادون غالباً لاناس ضعاف الاجسام ولكنهم اقوياء الارادة . وما مثل اولئك الاقوياء الاجسام الا كمثل القطارات « والكاميونات » الضخمة ، فهي بالرغم عن قوتها واستعدادها لسحق الالوف من البشر لا تستطيع السير بنفسها . فقلت له ومن اين ادركت يا دكتور قوة ارادتي . فقال من سعيك الشديد في اثناء المناظرة مع ملك الشعراء لاقناعه برأيك

وعدم انصياعك لرأيه . ثم قال لي انك لا يمكن ان تنام نوما مغناطيسياً ولكنك تستطيع ان تنوم ، ثم زاد على حديثه ان خمسة وعشرين في المئة من البشر مستعدون للتنويم وخمسة وسبعين منهم مستعدون للنوم وهذا هو السبب في ان الاقلية العاقلة تقود دائماً الاكثرية الجاهلة . ثم قال لي وانا مستعد لان اعلمك هذا العلم في مدة لا تزيد على الشهرين فقد مر عليك من تجارب الحياة ما لم تحتج معه كغيرك الى كثرة التمارين والدروس الابتدائية ومتى تعلمت مني هذا العلم فسوف اقيم حفلة ثانية كتلك الحفلة السابقة واقدمك للجماهير نائباً عني لتقوم بذات الاعمال التي قمت بها . ثم خرجنا من دار ملك الشعراء الواقعة خارج البلدة واخذنا نسير في السهل الجميل المنحدر الى مدينة طهران كانه يريد احتضانها واخذ الدكتور يلقي علي شيئاً من التعاليم الاساسية لذلك العلم وانا اصغي اليه بكل حواسي املا بالوصول الى تعلم هذا العلم الغريب المقدس . وقد تبعنا عند خروجنا من الدار احد المشاغبين الذين ينضوون تحت لواء ملك الشعراء ، لا سيما في اثناء الانتخابات والمظاهرات لان ملك الشعراء كان شاعراً كبيراً وسياسياً محنكاً في آن واحد . فالتفت ذلك المشاغب الى الدكتور مكرديج وقال له هل لك يا دكتور ان تعلمني هذا العلم كما تعلمه الاستاذ النجفي . فاجابه الدكتور بصراحته الارمنية التي لم تتعود التملق الفارسي والمجاملة الشرقية كلا اذ ليس فيك استعداد للتنويم ولكن فيك استعداد للنوم فجاءت هذه

الكلمة القاسية كالصاعقة على كبرياء ذلك المشاغب فقال له كيف لا استطيع التنويم وانا دائمًا اخطب في المظاهرات . فقال له هذا دليل على ضعفك لانك منقاد لارادة غيرك لا لارادة نفسك فاصاب المشاغب من كلام الدكتور تأثر وخجل كادا يغوصان به الى قعر الارض وكأنما شعر ذلك الارمنى الصريح بتأثر ذلك المسكين من الصراحة وما اكثر الذين تؤلمهم الصراحة فاراد ان يجبر خاطره ويهون عليه خطبه ويدمل له جرحه فقال له لا تتأثر من كلامي هذا فان كلا من المخلوقات خلقته الطبيعة ليؤدي وظيفته فى الحياة وكل من قام بوظيفته المخلوق لها استحق المدح وكل من قصر في اداء وظيفته او تطاول الى غيرها استحق الذم وانت لا تستطيع ان تعد المرأة احط مقامًا من الرجل لانها تنقاد له فان تلك وظيفتها ، نعم لك ان تنسب الانحطاط الى المرأة المتطاولة الى وظيفة الرجل او المقصرة في وظيفتها وكذلك لك ان تنسب الانحطاط الى الرجل المتشبه بالمرأة او المقصر في وظيفة الرجولة وبعد ان اكمل الدكتور بيانه وابان عذره رأيت ذلك المشاغب المسكين كأنما صعق لتلك التصريحات القاسية وتمنى ان لو لم يجبر خاطره بهذا النوع من الاعتذار الذي جاء اقبح من الذنب وما كدنا نصل الى اول البلد حتى ودعنا المشاغب المذكور وانصرف لشأنه وهو يتجرع سن الندم على تطفله وتطاوله الى ما ليس له وبالنتيجة نادم لمعرفته نفسه فان الغرور اكبر سلوى للمغرورين

-٢-

كيف يستهوى الشعب

مرت ايام بعد ذلك الحادث وانا اتردد الى دار الدكتور كل يوم واتلقى عنه الدروس الاولى في التنويم فكان اول درس القاه علي ونحن في غرفة موصدة الابواب خوفاً من ان يطلع على حديثنا احد قوله : يجب عليك قبل كل شيء ان تبدل كل حالة فيك الى عكسها فان كنت قليل الكلام فاكثر من الكلام وبالعكس ، وان كنت كثير الاختلاط بالناس فقلل من الاختلاط بهم وبالعكس وان كنت حليق الذقن فارسل ذقنك ولا بأس عليك ان تلازم الى مدة شهرين الجلوس في قبر ولي مشهور او في جامع عظيم يكثر عليه تردد الجماهير على ان تجلس كل يوم بضع ساعات وانت منفرد صامت متظاهر بالتأمل والاستغراق .

فقلت له وما الفائدة من ذلك في التنويم المغناطيسى فقال لي بصراحته المعهودة « اعلم ان الناس حمير ! وهم لا يرون شيئاً غريباً عن مألوفهم حتى يستولي عليهم الفكر والتكهن لكشف اسراره وحل رموزه وهم بهذا العمل يكونون قد فقدوا قوة التمييز في عقولهم فبعد ان كانوا يرون الاشياء ببداهتها صاروا يخبطون في اودية الاوهام ويهيمون خطأ وضلالا في فيافي الحسد والتخمين والشك والترديد وهم في الوقت الذي اشتغلوا فيه بمعرفة غيرهم فقدوا معرفة انفسهم فقلت له وما الفائدة من ان يصبح الناس امامي

بهذه الصفة فقال الفائدة واضحة وهي انهم بعد ان اصبحوا مفكرين بأمرك متكهنين بمعرفة اسرارك يكونون قد ناموا امامك نصف النوم المغناطيسي وما عليك بعد ذلك الا ان تختار منهم من تشاء وعند اول اشارة تبدو منك بطلب النوم تراه قد نام نوماً عميقاً تاماً ، الا ترى كثيراً من السياسيين الماهرين في خداع الشعب كيف تمر عليهم ايام وهم لا يخرجون فيها من بيوتهم بحجة المرض او بحجج اخرى وما سبب انزوائهم هذا فى الحقيقة الا جعل الشعب يتكهن بمعرفة سر انزوائهم ويكثر التحدث للوصول الى اسرارهم التي يقومون بها في طي الخفاء وقد يكونون مشغولين حينذاك بلذاتهم وشهواتهم السرية او بالاكل والنوم ، والشعب المسكين يحسب لانزوائهم الف حساب حتى اذا ما ظهروا امامه بعد ذلك الغياب الطويل تراه نام امامهم نصف نوم واستعد للنوم التام عند ما يملي عليه اولئك السياسيون الدجالون ارادتهم وهذا هو السر في ان كثيراً من ادعياء الادب وذوى العظمة الارستقراطية من الشعراء والادباء لايخالطون الشعب خوفاً من ان يدرك سطحيتهم في الامور فلا يعود يكترث بهم فهم يبتعدون عنه جهدهم لاسباب اولا ليخفوا سطحيتهم وجهلهم عنه ثانياً ليبقى الجمهور يتحدث بشأنهم ويتكهن بمعرفة اسرارهم واعمالهم الكبرى التي يقومون بها في طي الخفاء لخدمة الادب والتي سيطلعون عليه بنتائجها الباهرة يوماً من الايام فيبقى اولئك الادعياء منعزلين منزوين مشغولين بلذاتهم وعشرتهم واكلهم ونومهم والشعب المسكين العابد للاستقراطية الفارغة في كل شيء

من السياسة والمال والادب والعلم والدين مشغول بامرهم ومعرفة اسرارهم حتى اذا ظهر اولئك الادباء والشعراء الارستقراطيون للعيان امام الجمهور بعد الغياب الطويل يكون قد نام امامهم نوماً تاماً فيقرأون عليه قصائدهم ويلقون عليه محاضراتهم وهو مستسلم لارادتهم مقتنع بكل ما يلقون عليه من سخافات واشعار ميكانيكية كأنها وحي منزل ولا يفيقون من نومهم الا وقد غرس اولئك المشعوذون في نفوس الجمهور المسكين انهم آلهة الشعور وانبياء الفن وورثة العبقرية وما ذلك الا لأنهم حينما استيقظوا بعد انتهاء المحاضرات لم يبلغوا اليقظة التامة لأن الافيون الادبي الذي حقنوا به كان افيونا قويا وقد صادف اعصاباً ضعيفة وعقولا سخيفة فتمكن منها وانت الآن تحسبهم ايقاظاً وهم نصف نائمين » وهنا لا بأس بأيراد هذه الجملة المعترضة التي ذكرتها بالمناسبة وهي اني رأيت شيخاً فارسياً في طهران يعيش على تضليل الناس والضحك على ذقونهم باسم الدين تارة وباسم الاسرار الروحية اخرى فقلت له اما تخشى الله يا شيخ ان يحاسبك غداً على اضاليلك ويعاقبك على شعوذك وتدجيلك على الناس فقال كلا ما دام يوجد حمير فلماذا امشي على رجلي انى اعتقد ان الله سوف لا يعاقبني على ذلك اما سمعت قوله تعالى : والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون . فقلت له : وكيف تعد بعض البشر حميراً وهم يختلفون عنهم في الخلقة . فقال العبرة بالرأس لا بالذنب . ! ..

ولنعد الآن الى كلام الدكتور . قال متابعاً نصائحه الثمينة بصراحته

المعهودة « يجب عليك ايضاً مضافا الى ماسلف ان تتمرن على التكلم مع الناس بلهجة الملوك والامراء امام الرعية » . فقلت له اخشى اذا عملت ذلك امام الناس ان يضحكوا علي ، فقال نعم انهم سيضحكون عليك في بادىء الامر ولكن اذا تعودت على التكلم معهم بتلك اللهجة فلا يمضي عليك زمان حتى تصير انت تضحك عليهم وتكون قد ثأرت لنفسك منهم ، الا ترى الكثيرين من المصلحين كيف ضحك الناس عليهم في اول دعوتهم ثم صاروا في الآخر هم يضحكون على الناس فقلت له وما الفائدة من هذا العمل . فقال الفائدة هي تحميل ارادتك على المجتمع بواسطة لهجة القوة والامرة وانت تعلم تأثير تلك اللهجة في اثناء التنويم المغناطيسي .

— ٣ —

الدكتور مكدوجل نبي

مرت علي مدة تقرب من الشهر وانا اتلقى عنه تلك الدروس الغريبة ثم رأيته يوماً وقد جئته لتلقي الدرس يتأمل في ملامحي ويخترق بنظراته الحاد قروحي ثم قال لي يا احمد اعلم اني لم اتخذك لي تلميذاً اعلمه التنويم فحسب فان ذلك امر بسيط وهين جداً ولكني اتخذتك لغاية اسمى واعظم من تلك الغاية لقد اتخذتك لسر عظيم لا استطيع ان ابوح به الآن ولكني انتظر الوقت المناسب الذي اكون فيه قد اطمأننت منك فقلت له او لم تطمئن مني حتى الآن وقد فاتحتني بآرائك الغريبة وتصريحاتك الجريئة العجيبة فقال كلا

لم يمر على صداقتنا الوقت الكافي للاختبار والاطمئنان وان ما ابديته لك حتى الآن من الآراء والحقائق العارية والطرق الفعالة في خداع الناس والاستيلاء على عقول الجماهير لا يعد شيئاً مذكوراً امام السر الاعظم الذي انوى مفاتحتك به متى اطمأننت منك فخرجت منه وقد نومني نصف تنويم لمعرفة سره الغريب وبقيت اتردد عليه وانا حائر الفكر مضطرب النفس اضرب اخماساً لاسداس واتكهن بالف سر لمعرفة سر واحد واظهر له كل امارات الخضوع والتسليم لاغرس الاطمئنان في نفسه ومرت على ذلك ايام فذهبت اليه ليلة وعند وصولي استقبلني وعلائم الارتباك ظاهرة على محياه ثم نادى خادمه وارسله بمهمة الى خارج البيت على ان لا يعود قبل مضي ساعات من خروجه ودخلنا معاً الى غرفة الاسرار فاوصد بابها واحكم قفلها ثم جلس على الكرسي امامي واخذ يحدق في عيني بنظرات ذكرتني بنظراته حينما كان يقوم بعملية التنويم وبعد ان صمت برهة وتأمل في وجهي قال الآن اريد ان تكون اذانا سامعة لا لسانا ناطقاً فقد آن ان ابوح لك بالسر الاعظم الذي يعتلج في نفسي منذ سنين عديدة اعلم يا احمد ان اسمي مكرديج وهو في اللغة الارمنية مرادف لاسم يحيى في العربية وانت تعلم ان يحيى كان نبياً فيجب ان اكون انا ايضاً نبياً . اما المهمة التي اخترتك لها فهي ان تكون لي وصياً اي ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى لتساعدني في نشر دعوتي وبث رسالتي بين الامم وذلك لسببين اولا اني رأيت فيك الاستعداد الروحي الكافي للقيام بهذا الامر . وثانياً لاني لا اريد الاقتصار على نشر

نبوتي بين الارمن فحسب وهم امة قليلة العدد صعبة القياد . فانما انا مبعوث الى جميع الامم على حد سواء اما انت فستقوم بنشر الدعوة لنبوتي بين الامة الفارسية والامة العربية معا . وما كاد ينتهي من تصريحه بالسر الى هذا الحد حتى شعرت بهزة قوية في اعصابي وثورة شديدة في داخلي كدت ان افقد معهما رشدي واثور عليه وعلى تدجيله وتضليله وقلت في نفسي ياسبحان الله انا الذي وقفت حياتي على خدمة الحقيقة والجهر بها مهما كلفني ذلك من تضحية حتى خالفت في سبيلها كثيرا من الدجالين في قومي وتحملت من الطعن والتكفير والاتهام بالزندقة اشكالا والوانا كيف اصبحت الآن اسمع هذا التضليل والتدجيل وعلاوة على ذلك هذا الطلب المزري بحقي المخالف لطبعي الساحق لمبدأي وكرامتي اسمع ذلك وابقى ساكتا فحاولت الثورة عليه وعلى اضاليله ولكني نظرت الى مدية يقطر منها الموت معلقة في اعلى الجدار بالقرب من رأس ذلك الدكتور في التدجيل فاستحالت ثورتي الداخلية الى ذهول وجمود وسكت سكوت الخوف والحيرة والتظاهر بالتسليم والاذعان لاوامره الم يقل لي في اول الحديث يجب ان تكون آذانا مصغية لا لسانا ناطقا على انني لم استطع بعد ان اخذ يسرد علي مواهبه التي تؤهله للقيام بتلك الدعوة وكفائته للنهوض بعبء النبوة ان ابقي اذانا مصغية فقط فان اللسان يسكت عن وظيفته مدة ولكن لا يستطيع السكوت الى الاخر الا اذا كان صاحبه اخرس او اطرش فشجعت نفسي وقويت عزمي وجمعت فكري المشتت وقلت له وانا انظر اليه بعين والى المدية بالعين

الثانية اسمح لي يا دكتور ان اسألك هل تعتقد انت بنبوتك حقاً . ثم هل تعتقد بأني وصي لك حقاً . فقال كلا وهل كان الانبياء قبلنا يعتقدون انهم انبياء حقاً فقلت اذن لماذا تدعو الناس الى الاعتقاد بما لا تعتقده انت فقال اقصد بذلك اصلاحهم لأنهم قد انتشر فيهم الفساد وقد وجدت النبوة انجع الطرق في اصلاحهم بعد ان عجزت المدنية عن اصلاح نفوسهم فسكت مستغربا وقلت في نفسي يا للعجب لم يكتف الارمن باحتكار المهن والتجارات والحركات السياسية والاغتيالات التي يقومون بها في دار هجرتهم حتى اخذوا اليوم يسعون لاحتكار النبوات ايضاً وكأن صاحبي هذا لم يجد في باقي الامم من هو اهل للنبوة سوى الارمن اما نحن العرب فلم نكن نستحق في نظره سوى الوصاية وهي الدرجة الثانية للنبوة وبعد ذلك اخذت امعن النظر والفكر في نفسه وفي نفسي واقول بعد ان استسخفته واستسخف نفسي معه يا ترى ما هو الشبه الذي رآه بيني وبينه وما هي الرابطة التي رآها تربطني به حتى اختارني لان اكون له وصياً ووليّاً ان كانت الرابطة بيننا هي السخافة فالحمد لله على ان سخافتي لم تصل بي الى درجة النبوة وان وصلت بي الى درجة الولاية ثم ودعت الدكتور او النبي الجديد وانصرفت وانا غريق في بحر من الافكار لا ساحل له وبعد ايام مرضت مرضاً شديداً ولعله كان مرض الولاية !.. وانقطعت عن الترداد اليه ومرت علي ذلك سنة تقريباً وانا لم اره .

وفي احد الايام بينما كنت اسير في احد شوارع طهران ومعي صديق ملك الشعراء ورفقاء آخرون واذا بنا نتصادف فجأة بالدكتور مكرديج واذا به يحمل ذقناً اكبر من وجهه وبعد ان دلنا التحيات التفت اليه صديق ملك الشعراء وقال يا دكتور سمعت انك صرت نبياً فقال كلا بل كنت ولا ازال نبياً اما انا فتنازلت عن حقوقي وامتيازاتي الخاصة ولم اقل كنت ولا ازال ولياً .

كيف اصبحت رأسمالياً

توطئة تاريخية

ان بلدة النجف ذات تاريخ مشحون بالحوادث والثورات الفكرية والمادية وهي تعد بعد بغداد ذات الشأن الاول في اكثر حوادث العراق فان اكثر المؤامرات كانت تنعقد تحت سقوفها وبين زواياها ، وهي منذ ان فتحت عليها عيني فتحتها على ثورات وحروب متوالية سواء بين سكان بعض احيائها والبعض الآخر او بين الاهالي والحكومة فكان اهم ثوراتها التي ارى حوادثها لا تزال الى الآن ماثلة لعيني هي الثورة النجفية الكبرى التي اندلع لهيبها على الحكومة الانكليزية قبل انتهاء الحرب العامة بسنة وكان القائمون بها بضعة عشر شاباً بقيادة البقال حاج نجم الذي كان ايام السلم يشتغل بالبيع والشراء وايام الحرب يصبح بطلا مغوارا وقد هجم اولئك الثائرون على سراى الحكومة الواقع خارج البلدة وكان فيه عدد وفير من الجند الانكليزي والشرطة العرب فقتلوا الحاكم الانكليزي وبضعة انفار من الجنود وسقط منهم جريحان جاؤا بهم الى داخل البلد فاخذ ينضم الى الثوار عدد من المحاربين بلغوا بعد بضعة ايام ٣٠٠ نفراً اما الحكومة الانكليزية فقد ساقت جيشها الذي كان قد انتهى من سحق الاتراك على حدود الموصل وجاءت به الى النجف بمصفحاته ومترالليوزاته ومدافعه وكان عدده يتجاوز الاربعين الفا وطوقت به البلد وتركتها تحت الحصار

اربعين يوماً ذاق الاهالي في خلالها الامرين من جوع وعطش وموت وقتل واتهمت الثورة بخيانة اهالي احدى المحلات وفتحهم الطريق للجيش الانكليزي حيث استطاع ان يدخل البلد ويستولي على اغلب الثوار فيشنق خمسة عشر بطلا منهم وينفي الباقين الى بلاد الهند ثم صارت الحكومة بعد ذلك تمسك على الظن والتهمة وتسوق المتهمين للسجن او للنفي وكان لي صديق من الثائرين هو الكاتب الشاعر ميرزا عباس الخليلي صاحب جريدة اقدام الفارسية الذي ينشر احيانا شيئاً من شعره ونثره العربي في الصحف المصرية لا سيما مجلة المقتطف وقد استطاع هذا بعد ان بزي النساء المتحجبات ان يخرج من البلد ويفر الى طهران حيث اتخذ دا اقامة له ، وبعد ان استولت الحكومة الانكليزية على البلد واحتلتها احتلالا عسكريا تركت قسما من الجيش مرابطاً خارج البلد خوفاً من تكرر حوادث الثورة .

* * *

فضول وتطفل

مرت علي ايام بعد انتهاء الثورة وانا خائف من ان ينكشف حكومة اتصالي بذلك الصديق الثائر فتأخذني بجريرته ، وبينما كنت ذات يوم جا في مكتبة كبرى في احد اسواق النجف واذا بضابط انكليزي سوي اقامة مهيب الطلعة يصحبه شيخ فارسي وضع نفسه مترجما للضابط مدعي

انه يحسن العربية والانكليزية مع انه لم يكن يعرف منهما سوى بضع كلمات وكأن الضرورة وفقدان العارفين باللغة الانكليزية في ذلك الحين دعتا ذلك الضابط الى اتخاذه مترجما عنده فضلا عن انه كان باسم الترجمة خادما له وسمسارا يدله على زوايا البلد . اما الضابط فكان يعرف من العربية كلمات معدودة ويستعين على الباقي بمطالعة القاموس في اثناء الكلام واذا لم يساعده القاموس يستعين بذلك المترجم الزائف .

جاء ذلك الضابط وسال صاحب المكتبة هل لديه كتب خطية اثرية فاجابه كلا . فدفعني التطفل وحب الاستطلاع والرغبة في التكلم مع ضابط انكليزي كبير ان اسأله عن غرضه وقلت له هل تريد كتبا خطية وكانه فهم من سؤالي هذا ان لدي كتبا خطية اريد بيعها فقال لي وقد نظر الى ساعته جئني هذه الليلة بالكتب الخطية الموجود عندك الى الثكنة العسكرية الفلانية الواقعة خارج البلد وانا في انتظارك الساعة الخامسة بعد الظهر وعبثا حاولت افهامه ان ليس عندي هكذا كتب وقبل ان ينتظر افهامي له بعدم وجود الكتب المطلوبة لدي سار في طريقه بعد ان ودعني فالتفت الي صاحب المكتبة وقال ماذا اوقعت نفسك بتطفلك في هذا المأزق . فقلت له ليس ثمة من مأزق فاني لن اذهب اليه وكان صاحب المكتبة اجبن رجل عرفته بعد نفسي . فقال اذا لم تذهب اليه ثم جاءني وسألني عنك فاني اضطر ان ارسله الى بيتكم فاضطربت عند ذلك خوفا من اخي الاكبر الذي كان يؤنبني كل يوم عدة مرات لصداقتي مع ميرزا عباس الخليلي الثائر قائلا

انك بهذه الصداقة سوف تعرض بيتنا للخطر فقلت في نفسي يالهذه البلية اذا جاءني ذلك الضابط الى البيت واستطعت التخلص منه باحد الاعذار فكيف استطيع التخلص من اخي الاكبر ومن توبيخه لي على فضولي وتطفلي سؤالي عن اشياء لاتعنيني ولربما يجازيني على ذلك باخراجي من البيت تخلصا من شري وكنت في ذلك الحين جاهلا شؤون الحياة خائفا من الدخول في ميدان العمل لاني كنت عائشا عيشة اتكالية .

* * *

مغامرة رابحة

وحملني الخوف من وخامة العاقبة على المغامرة وقلت لنفسي سأتخلص من ذلك المأزق بان اخذ شيئا من الكتب الخطية الموجودة في مكتبتنا واكثرها في علم الصرف والنحو والمنطق واعرضها على ذلك الضابط ولا شك ان ضابطا انكليزيا يشتري الكتب الاثرية لابد ان يكون مستشرقا وسيدرك بسرعة تفاهة تلك الكتب ويرميها في وجهي واكون قد تخلصت بتلك الطريقة من شره ومن شر تفتيشه عني وهكذا كان فقد ذهبت الى مكتبتنا واخذت منها اسخف الكتب الخطية واحدثها خطا واقلها رونقا وكان اكثرها في علمهم الصرف والنحو والمنطق الا واحدا منها فقد كان رسالة في علم الفقه من مؤلفات جدي المرحوم الشيخ محمد حسين الكاظمي الذي كان اعظم فقهاء عصره وبعد ان هيأت الكتب بقيت اعد الدقائق

والثواني بانتظار ذلك الوقت الموعود الذي يخلصني من ذلك التورط ويريحني من ذلك القلق حتى اذا ازفت الساعة المعينة ذهبت مسرعا الى خارج البلد فوجدت الشيخ المترجم ينتظرني فسألته عن الضابط فقال لا يوجد الان ولكنه سيحضر قريبا فقد ذهب للمناورة فبقيت واقفا اتفرج على الضباط والجنود وانا خائف منهم وكيف لا وقد شنقوا منذ ايام بضعة عشر شخصا من اهل بلدتي وكان مرور الاهالي من هناك ممنوعا لا سيما في الساعة الخامسة بعد الظهر ولم يكن يسمح لاحد بالمرور قرب المعسكر ماعدا الاشخاص الذين يحملون بطاقات خاصة وكانت لدى المترجم المذكور بطاقة منها اما انا فكنت واقفا بجنبه محتميا به بقيت واقفا اكثر من نصف ساعة وانا من الانتظار على احر من الجمر وقد حان الغروب فاذا بالضابط مقبل وبيده سطل يحتوي في اسفله على صفيحة من البيض المقلي . فحينما رآني بش في وجهي وحياني تحية انكليزية فاجبته بتحية عربية وقد زال ذلك الخوف من نفسي وشعرت بشجاعة غريبة اذ رايتني متصلا ولو وقتا ما بضابط انكليزي كبير ثم اشار الي بان اتبعه فتبعته الى غرفة بسيطة لم تكن تحوي سوى سرير خشبي يطوى ويحمل عند السفر وكرسي مثله وطاولة فجلس هو على السرير واجلسني على الكرسي امامه اما المترجم فبقي واقفا

مساومة غائمة

قال لي الضابط هات الكتب فقدمت له كتابا في علم الصرف قديم الورق حديث الخط فاخذ يتصفحه ثم سالني عن ثمنه فقلت له خمسين روبيه

فقال هذا ثمن غال ثمنه عشر روبيات وبعد الاخذ والرد اتفقنا على جعل الثمن خمسة عشر روبية ولم يكن يساوي ذلك الكتاب في تلك الايام سوى قرشين سوريين لو حصل له مشتر ثم ناولته الكتاب الثاني وكان هو الرسالة العملية في علم الفقه تأليف جدي المرحوم وكانت اكثر ابحاثها تتعلق بالطهارة والنجاسة والحيض والنفاس فاخذ يتصفحها ثم سألني عن ثمنها وخيفة من ان تزول ثقته بي ارخصت له الثمن وقلت عشر روبيات وبعد معاملة قصيرة اتفقنا على خمسة روبيات وكان ثمنه الحقيقي صفرا لو كان للصفر ثمنا . ثم ناولته الكتاب الثالث وكان في علم النحو قديم الخط بالنسبة الى اخوانه جميل الورق مذهب الجلد والاطراف فسألني عن ثمنه فقلت له ستين روبيه وكما أجتذبه جمال الكتاب فاشتراه بعد صح مساومة طويلة خمسة وعشرين روبية وعلى اثر ذلك اشتعلت في نفسي نار الحرص والطمع والجشع امام ذلك الضابط المسكين وصرت كباقي احد الصهيونيين في هذه الايام امام العرب .

* * *

المنطق وطب الرأسي

ثم قدمت له الكتاب الرابع وهو في علم المنطق ويرجع تاريخ خطه الى ثلثة قرون تقريباً وتلوح عليه آثار القدم فقال لي بعد ان تأمله بضع دقائق ما هذا الكتاب فقلت له هذا كتاب في علم المنطق فلم يفهم كلامي فاضطررت

توصلا الى افهامه اولا وبيان اهمية الكتاب ثانياً ان قول له هذا كتاب في علم الفلسفة العقلية فلم يفهم كلامي ايضاً فصرت انظر اليه نظرات عميقة واستعين على تفهيمه بالاشارة قائلا هذا الكتاب في علم العقل واشرت بيدي الى رأسي لأدله على مركز العقل حاسباً ان رأسي كان يحوي شيئاً من العقل ولم اشر الى رأسه الذي ثبت لي بعد شرائه الكتب السخيفة انه لا يحوي ولا ذرة من العقل اما هو فلما رأى اهتمامي بالكتاب واشاراتي المتكررة الى رأسي مد يده الى جيبه واخرج منه مذكرة تحوي بعض الكلمات العربية مع تفسيرها بالانكليزية وبعد ان تصفحها بعض دقائق قال وقد اشار الى الكتاب « طب الرأس » يريد هل هذا الكتاب فى طب الرأس وقد كان حدسه هذا ناشئاً من كثرة اشارتي الى رأسي فى اثناء بيان موضوع الكتاب اما انا الذي كنت اريد التخلص منه ومن افهامه ولو باي وسيلة كانت فقد جاءت كلمته هذه فرجا عاجلا لنفسي فقلت له نعم طب الرأس فما اتممت كلامي حتى رأيته اخذ يتصفح الكتاب ثانياً بدقة واهتمام ثم قلبه من اوله الى آخره واخذ ينظر في وجهي تارة وفي الكتاب تارة اخرى وهو مستبشر بانه عثر على كتاب عربي مختص بطب الرأس ولا شك انه اعتقد حينذاك بان فتح انكلترا للعراق لم يكن يعادل هذا الاكتشاف الذي سيبشر به اولياء متحف لوندره قبل وصوله اليها وسوف ينال عليه وساماً على الاقل ان لم ينل حفلة تكريمية ايضاً ولما سألني عن ثمنه وقد ادركت اهتمامه الزائد به قلت له ان ثمنه ثلاثمائة روبية فتظاهر

بالبرودة الانكليزية وامسك عواطفه واجابني وقد استحيى من ان يسوم الكتاب باقل من سدس ثمنه كلا بل ادفع لك ثمنه خمسين روبية فكدت اطير فرحا من تلفظه بذلك الثمن ولكني خشيت ان يشعر بفرحي فينكشف له خداعي وغبنه فامسكت عواطفي واخذت انزل له في الثمن درجة درجة حتى وصلت الى الستين روبية فوقف عندها ولم اشأ النزول اكثر من ذلك خشيت ان يشعر برغبتي فيعدل عن الشراء اما هو فلم يسأ ان تذهب من يده تلك الغنيمة الباردة فقال لي بل ادفع لك خمسة وخمسين روبية فقبلت واستلمت الثمن وقلبي يخفق طرباً بالمال وخوفاً من ان ينكشف له خداعي ثم خرجت بعد ان ودعته وانا متظاهر بالعبوسة لئلا يقرأ فرحي في وجهي وقصدت من تلك العبوسة ان افهمه ندمي على تلك الصفقة الخاسرة التي اضطرتني اليها الحاجة والظروف !

* * *

المترجم يكشف الصفقة

فسرت في طريق مسرعاً بعد ان ودعته ولو كنت استطيع في ذلك الحين لهربت من النجف كلها بل من العراق جميعه خوفا من ان تنكشف حيلتي فتذهب ثروتي واسجن جزاء على عملي وكيف لا وقد خدعت ضابطاً انكليزياً كبيراً وبعد ان خرجت من غرفة الضابط تبعني على الاثر ذلك المترجم الزائف واخذ يطالبني بالكمسيون فنفحته من بين الروبيات

الكثيرة التي كادت تخرق جيبي وتثقل صدري بروبية واحدة فصاح في وجهي قائلا ان هذه الكتب التي بعتها بهذا المبلغ لا تساوي سوى روبيتين فتعجبت من ذلك الشيخ الامي كيف استطاع ان يدرك مع جهله ثمن تلك الكتب الحقيقي ولم يدرك ذلك الضابط الانكليزي الكبير شيئاً من ذلك فقلت للمترجم وانا عابس الوجه خسأت لقد اشتريتها باكثر من هذا الثمن ولولا الازمة والظروف القاسية لما بعتها فقال وقد تبسم في وجهي اني شرقي مثلك وان خداعنا لا يمشي على بعضنا! فضحكت في نفسي ونفحته بروبيتين ايضاً فانصرف عن وجهي وذهب توا الى البيت واودعت الدراهم في مخبأ امين ومن ذلك اليوم وقد مر على تلك الحادثه ما يقارب العشرين سنة فلا ازال اشعر بخوف في نفسي من ان ينكشف خداعي واحاسب على تلك الثروة التي جائتني عن طريق غير مسروع ومن ذلك الحين دخلت في عداد الرأسماليين والآن ارجو من اخواني العرب ان لا يترجموا مقالي هذا الى الانكليزية !

طبخ الذهب

مساكين هم الطلاب الذين يدرسون الكيمياء اليوم فهم لا يشعرون باللذة الروحية العظمى التي كان يشعر بها اولئك المشتغلون بالكيمياء على الطريقة القديمة اعني تحويل النحاس الى ذهب ، تلك اللذة التي لا تعادلها لذة في العالم حتى ذهبت ثروات الكثيرين في سبيلها وهم راضون مبتهجون وانت حتى الان لا تكاد تجد لذة في العالم يصرف المرء في سبيلها ماله وهو مبتهج النفس كهذه اللذة اما لذة القمار فهي وان ادت الى صرف ثروات عظمى في سبيلها فانها لذة مضطربة مكدرة بالاحزان منغصة بالخسائر .

واما لذة الكيمياء فهي لا تنقطع ولا تتكدر مهما صادفها من فشل اذ يبقى صاحبها معتقدا بوصوله الى الغاية ولو بعد حين لان نتيجتها في نظره مؤكدة وما عليه الا ان يكثر من التجارب حتى يصل اليها ولا تزال الى الآن فئة قديمة في دمشق تشتغل في هذه الصنعة وكل منهم يعتقد انه حينما يتوصل الى التركيب الفلاني او الجزء الفلاني يصل الى النتيجة المطلوبة حتما فيالها من مخدر لذيذ دائمي فان لكل مخدر نهاية اما هذا المخدر فلا نهاية له عند الاكثر من الناس لاسيما الذين بذلوا في سبيله اموالا جمة ذهبت معها عقولهم فصاروا يقنعون انفسهم ولو عن طريق الوهم بانهم سوف يبلغون غايتهم المنشودة خوفا من ضياع اموالهم وآمالهم معا وكأنهم استعاضوا عن الاموال بالآمال . وكيف يمكن ان يتطرق اليأس الى نفوسهم وجابر ابن حيان قد

وضع هذا العلم في اطار من الطلاسم والالغاز فكلما اخطأت عملية الكيمياء مع احدهم لم يتهم الوصفة بالخطأ بل اتهم حدسه واخذ يفكر للطلسم بحل آخر فالنتيجة عند هؤلاء مؤكدة ولكن على الطالب ان يحل الطلاسم ولو على الف وجه حتى يصل الى الوجه الصحيح منها

اما انا فاحمد الله على انني توصلت الى تلك اللذة الكبرى عن طريق الاشتغال بالكيمياء وشعرت ولو بضعة ايام بانني امتلكت العالم باسره عن هذا الطريق وفهمت ماهي اللذة الروحية التي تعتري المرء عندما يشعر انه اصبح يملك العالم وسوف اذكر للقارىء فيما يلي الوسائل التي اتخذتها لبلوغ تلك الأمنية الجميلة ليستعملها هو ايضا اذا شاء ان يملك العالم ولو بضعة ايام كما ملكته انا .

رحم الله مؤلف كتاب «شمس المعارف الكبرى» في الاسرار الروحية والجفر والتنجيم فقد عثرت على هذا الكتاب صدفة وعندما تصفحت فهرسته وجدته يحوي ماتشتهي الانفس وتلذ الاعين لاسيما انواع السحر والتنجيم وتسخير الجان التي كانت امنيتي الكبرى في عهد الصبا وكان الذ شيء الى نفسي من الكتاب المذكور هو الدائرة السحرية المختصة بجلب الحبيب على رغم عين الرقيب والتصرف به كما اشاء بقيت اطالع الكتاب اياما واذا بي اعثر فجأة على العنوان الآتي (مرقة تصبغ احمر) فقلت ياسبحان الله ما هذه المرقة الغريبة انني حتى الان لم اشاهد هكذا مرقة تصبغ احمر ما عدا مرقة البندورة واذاً ماهي مناسبة مرقة البندورة مع كتاب في الاسرار الروحية لا في علم الطبخ وحينما طالعت تركيب المرقة وجدتها تشير الى طبخ

القمر والمريخ مع زحل لتتكون منها الشمس فقلت وهذه اغرب من العنوان اذ كيف يمكن ان يطبخ القمر والمريخ مع زحل لتتكون منها الشمس وما هو القدر الذي يسع هذه الاجرام الكبرى لتطبخ فيه ومن ذا يستطيع القيام بهذه الطبخة سوى الله القدير وانه عزوجل قد صنع الشمس على هذه الطريقة والا فتكون هذه الطبخة شبيهة ببعض الطبخات السياسية التي تركب من اجزاء خيالية وتعطي مرقة وهمية ولكن لم اشأ ان اذهب من تلك الطبخة الغريبة صفر اليدين دون ان افهم معناها فبقيت اتصفح الكتاب واذا به يفسر في موضع آخر تلك الرموز واذا الشمس هي الذهب والمريخ هو الحديد والقمر هو الفضة وزحل هو الرصاص وكل من طبخ هذه مع بعضها تطلع عليه الشمس وما الشمس الا الذهب الوهاج معبود الانام فبقيت تلك الليلة وانا لم يغمض لي جفن لشدة الفرح اذ اعتقدت انني استطيع في اسرع وقت وابسط عملية ان اقلب جميع الطناجر والقدور والصحون الموجودة في بيتنا الى طناجر وقدور وصحون ذهبية حتى تلك الطناجرة الكبيرة التي هي وقف من جدنا المرحوم على جميع افراد اسرتنا سوف اقلبها في لحظة الى طنجرة ذهبية كبرى ولا شك ان الواقف سوف لا يستاء من هذا العمل فانه انما يستاء من تبديل الوقف باسوأ منه اما تبديله باحسن منه فلا ريب انه يسره في قبره بل ربما يجعله يرقص وسط القبر طرباً وربما تعود اليه الروح اذا سمع رنين طنجرته الذهبية حول قبره وبعد ان قلبت الطناجر والصحون النحاسية الى ذهب صرت افكر في تحويل

الاعمدة والقضبان الحديدية في شبابيك بيتنا مع حلقات الابواب الى ذهب ايضاً وصرت اقول يا الله ما اجمل تلك الشبابيك اذا اصبحت كلها ذهباً لماعاً ولكن لم البث واما بتلك النشوة الروحية ان خطر لي خاطر قلب افكاري وزعزع سعادتي وهو اني فكرت بالحكومة التركية المستبدة في تلك الايام وقلت يا ترى ماذا ستصنع معي اذا بلغها امري واخذت علماً باني اصبحت املك القناطير المقنطرة من الذهب ، لا شك انها سوف تستولي على ذلك وتحكم علي بالاعدام او بالسجن المؤبد على الاقل وقبل ان انتهي من فكر الحكومة جاءني فكر اللصوص الذين صاروا يطوفون حولي اسراباً لينهبوا مني تلك الغنيمة الباردة نعم لا بأس ان اصطحب معي حراساً ولكن كيف آمن اولئك الحراس على منجم من الذهب ثم فكرت في طريق ناجحة وهي ان اصنع الذهب سبائك صغيرة وارسل كل سبيكة منها مع بعض النساء المتحجبات التي تخصني لتبيعها وتأتيني بثمنها دون ان يعرفها احد وكما كنت اخشى الحكومة واللصوص فكنت اخشى ان يعلم بعض الناس الطامعين بوجود ذلك السر الذهبي عندي فيقبضون علي خلسة في الظلام ويكمون فمي ثم يذهبون بي الى دار نائية خالية وهناك يكمون فمي ويشهرون المدى والسيوف على رأسي ويهددوني بالقتل ان لم ابح لهم بذلك السر ولكن كيف ابوح لهم بسر يسخر العالم لمن يعرفه وكيف ارض ان يشاركني في تسخير العالم احد وقلت في نفسي تالله لقد اصاب جابر بن حيان بوضعه هذا السر في الطلاسم والرموز لئلا يطلع عليه

الكثيرون وعند ذلك تقع الفتن والحروب بين افراد البشر بل بين افراد الآلهة فان كل عارف بذلك السر يصبح في ايام معدودة الها يتصرف بالكون كيف يشاء كما يتصرف به ابناء الصهيونية في هذه الايام بواسطة المال ، وكنت كلما خطرت لي هذه الخواطر تصاعد الدم الى رأسي ولج بالخفقان واخذت انفاسي بالسرعة والاضطراب وكلما خطرت لي حيلة للتخلص من ذلك المأزق واكتشفت طريقة جديدة لكتمان السر استولى علي الوسواس والقلق وانكشفت لي ثغرات جديدة وكلما سددت تلك الثغرات بحيلة فتحت امامي ثغرات اخرى من الخطر حتى اصبح الصباح وانا لم تغمض لي عين فقمت من فراشي محطم الاعضاء وانا كالمليونير المضطرب خوفا من اللصوص والحكومة فان كلا من هؤلاء يستطيع التصرف باموال الناس والتدخل فى شؤونهم الخاصة وان كانت لاتعنيه .

مرت علي ايام وانا مشغول بتهدئة اعصابي الثائرة رغبة ورهبة وبعد ان هدأت اعصابي شرعت فى تطبيق العملية ولكني رأيت فى الوصفة رموزا لم تنحل وشروطا لم تتوفر فبقيت افتش في طيات الكتب الروحية الكيماوية عن طريقة لحلها ولكن لم اهتد الى ذلك وصادف انني بينما كنت افتش عن ضالتي المنشودة ذهبت لزيارة شاب امي كان جارا لي وكان يشتغل بحفر الاحجار الكريمة وكانت لديه مجموعتان في السحر والطلاسم ورثهما عن ابيه عن جده الذي كان يشتغل بالسحر والشعوذة فاخذت اتصفحهما وبينما انا اتصفح احداهما ذات يوم اذا بكلمات من الكيمياء تلوح لعيني

فامعنت النظر فيها واذا بها وصفة بسيطة لاجراء عماية الذهب لاتحتاج الى كبير عناء فقلت اذاً يجب علي اخذ هذه الوصفة مهما كلفني الامر ولكن سرعان ما اضطربت نفسي واصابني القلق عندما ادركت ان هذا الشاب الأمي كان يعرف قيمة هاتين المجموعتين لما سمعه عن ابيه المرحوم من ان جده كان بواسطة هاتين المجموعتين يتصرف بالامور كيف مايشاء ولكن خطر لي خاطر وهو ان افاتحه بالامر ولكني خشيت اذا فاتحته بالامر ان لا ينصاع لرغبتي ولا يوافقني على الاشتراك بالعمل اويخفي عني المجموعة عندما يسمع بالسر الذهبي الموجود فيها فحاولت حفظ الوصفة ولكني يئست حينما لاحظت ضعف قوة الحافظة الذي كان مستولياعلي منذ الطفولة اذ كنت احفظ الخمسة ابيات من الشعر في عشر ساعات وانساها في ساعتين

مرت علي ايام وانا افكر بحيلة توصلني الى اخذ تلك الوصفة من تلك المجموعة حتى اهتديت اليها بعد جهد جهيد وهي انني اتيته ذات يوم وتظاهرت له بانني قد اكلت اليوم كمية كبرى من البطيخ الاحمر وهو مشهور بين الناس بتوليد الادرار الكثير وذلك خوفا من ان يشتبه بامري اذا رأى كثرة خروجي من الغرفة ثم جلست واخذت اطالع الوصفة واحفظ كل مرة ثلاث كلمات منها ثم اذهب الى خارج الغرفة فورا متظاهرا بالحاجة الى الادرار ولم يكن لي حينئذ سوى قلم من الرصاص بلا قرطاس فكنت اكتب الكلمات الثلاث على قميصي الابيض وبعد ان تظاهرت بعملية الادرار خمس مرات انهيت كتابة الوصفة وبعد ان كنت اتكلم مع

رفيقي بلهجة المسكنة والتملق خوفا من ان يحول بيني وبين مطالعة المجموعة صرت اكلمه بلهجة التكبر والعجرفة وبعد ما كنت اتردد عليه كل يوم مرات عديدة صرت لا ازوره في السنة مرة .

خرجت من دار ذلك الرفيق مسرعا وذهبت بالوصفة الى البيت فنقلتها على ورقة ثم اخفيت الورقة فى مخبأ امين ثم محوت اثر الوصفة عن ثيابي كي لا تطلع عليها امي متى همت بغسلها خيفة ان تخبر عنها اخوتي الكبار وبعد ذلك خرجت من البيت للتفتيش عن المال اللازم لاجراء العملية وكان يبلغ في تلك الايام مجيدي واحد ولكن من اين آتي بالمجيدي وكل ما كنت اربحه فى ذلك العهد وما اوفره من ثمن الاشياء التي كنت اشتريها للبيت لم يكن يزيد في طول السنة وعرضها على النصف مجيدي فقلت ان عملا كهذا محتاجا الى مجيدي لا يستطيع القيام به شخص واحد مثلي واذاً لا بد من عقد شركة مالية تقوم بهذا العمل على ان يكون منها المال ومني العلم وهكذا كان حيث ذهبت الى استاذي الذي كنت ادرس عليه علم اصول الفقه لأرتقي منه الى علم الفقه وفاتحته بذلك السر العظيم بعد ان اخذت عليه الايمان والعهود بالكتمان فما سمع بذلك السر الذهبي حتى هاج طربا وسرورا وقال لي: (ياأحمد ان هذه خير طريقة للمعيشه تناسب الاشخاص العفيفين العزيزي النفوس امثالنا وكنت منذ مدة ادعو الله ان يهديني الى رزق حلال يصون كرامتي ويغنيني عن طريق المعيشة الدارجة اليوم بين المشائخ فقد اصبحت والله لا تتفق مع الكرامة وكأن الله شاء ان يستجيب

دعاني على يدك ويهديني بواسطتك الى هذا الرزق الحلال الطيب) وكأنما خاف استاذي ايضا من افتضاح السر فاخذ يطلب مني العهود والمواثيق على ان لا ابوح به لشخص آخر فلم ابخل عليه بالايمان الغلاظ الشداد حتى اطمأن ولما اخبرته بان العملية تكلف مجيدي واحد استولى عليه الفكر والقلق وقال اقول لك الحق ياأحمد انني لا استطيع الان تهيئة هذا المبلغ بتمامه فاني ربما استطيع بعد الجهدان اهيء لك نصف مجيدي فقلت وماذا تعمل لتحصيل النصف الآخر فقال بعد ان تأمل بضع دقائق لابد من جعل شركتنا ثلاثية ولكن من تراه يصلح لان نفاتحه بهذا السر العظيم ثم افترقنا على ان نلتقي غدا وعندما التقينا في الغد قال لي ابشر لقداهتدينا الى الشخص الثالث الامين وكأن الله شاء ان لا تكون الامانة غالبا الا عند المفلسين فاننا حينما فاتحناه بالسر وذكرنا له المبلغ اللازم من المال قال ليس لدي الان نصف مجيدي ولكن سوف اهيئه لكم غدا فاضطر المسكين عندما فارقنا ان يذهب ويرهن كتابه في علم الفقه ويأتينا بالنصف المجيدي الثاني ولما استلمت المال الكافي ذهبت توا الى السوق وخشية من ان يشتبه البائعون بامري اشتريت كل جزء من اجزاء الوصفة من بائع وكنت اذكر اسم الجزء وانا مطرق الرأس الى الارض خوفا من ان يقرأ الباعة السر الذهبي فى عيني ولما اكملت شراء الاجزاء ذهبت الى البيت السري المعين لنا وهو غرفة في البيت البراني لذلك الشخص الثالث . وكان الرفاق الكيماويون ، اوبالاصح الرأسماليون على احر من الجمر بانتظاري . وعند وصولي اوقدنا النار وجاءنا

ذلك الصديق بمقلاة بينهم واخذ احدنا ينفخ النار والآخر ممسك بالمقلاة . اما انا فكنت انتظر الوقت المناسب حتى اضع اجزاء الوصفة على المقلاة لتستحيل ذهباً ولما رأيت المقلاة احمرت القيت الاجزاء عليها وبقيت انتظر مفعولها وبعد بضع دقائق رأيت المقلاة بدلا من ان تستحيل صفراء استحالت سوداء فاخذ كل منا ينظر في وجه الآخر نظر الحيرة والاستغراب واليأس دون ان ينبس ببنت شفة اما انا الذى كنت نائباً عن جابر بن حيان فلم ارض ان تجرح كبريائي ويظهر فشلي وجهلي في آن واحد فانهلت بالسب على احد الباعة قائلا لاشك انه غشني وبدل بعض الاجزاء وخرجت الى السوق مغضباً على ان ارجع لهم سريعاً بالجزء الصحيح للوصفة وطلبت منهم ان ينتظروني ريثما ارجع اليهم وكان خروجي هو الخروج الاول والآخر وبعد اسبوع بينما كنت اسير في السوق رأيت رفيقنا الثالث ممسكا بالمقلاة على دكان المبيض ليعيد اليها لونها الابيض الذى احالته كيمياؤنا الى لون اسود وخوفا من ان يبصرني انحرف عن الطريق وهربت منه خيفة ان يشاهد وجهي الذى اسود منه خجلا بل اصبح اشد سواداً من لون المقلاة .

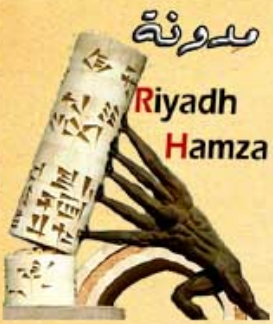

الفصل الثاني

قصة اديب

اما انا فقد جنيت ثمرة شعري .. وذلك عند ما حظيت بحب السيدة الالمانية وافتتانها بي رغماً مما انا عليه من بشاعة ، ولكن بقي اديب لم يجن طيلة عمره ثمرة ادبه ...

اجل انه لم يجن ثمرة ، لا من نجاح في مال ولا من نجاح في غرام — على ما اظن —

اما عدم نجاحه في المال فيرجع الى قيمة الادب الحقيقي في هذه البلاد .. التي تأخذ كل يوم في النزول بقدر ما تأخذ قيمة الادب الزائف التجاري بالارتفاع ..

واما عدم نجاحه في الحب فيرجع الى نقص في جماله ، فان وجهه وان كان اجمل من وجهي فانفه اكبر من انفي ! ..

وبهذه المناسبة تذكرت ان بعضهم — وقد سمع بان كبر الانوف من دلائل العبقرية قياساً على انف سيرانو — اخذ يفكر في اجراء عملية في

انفه ليجعل انفه الصغير كبيراً غير عارف انه في حاجة الى تكبير عقله قبل تكبير انفه ... وهذا شبيه ببعضهم وقد سمع ان العباقرة مجانين فراح يجنن نفسه غير عالم ان مجانين العبقرية غير مجانين البيمارستان !

لقد جاءني ذلك الاديب يوماً وقال لي وهو باسم الوجه ضاحك الثغر ابشر . فقد جنيت اليوم لاول مرة ثمرة ادبي ، فقلت له : ان صح ما تقول فهذه اول مرة يجني فيها الادب الحق ثمرة في هذه البلاد فاخبرني كيف جرى ذلك قال : لقد عملت قصة وبعد ايام عرضت بواسطة احد الرفاق — المتطوعين — على ادارة جريدة الجزيرة وبعد عقد عدة مؤتمرات وتشكيل بضع استشارات لتعيين مقدار ثمن تلك القصة وبعد وضعها في المزاد العلني . وقف سعرها على الاستاذ صاحب الجزيرة باربع ورقات سورية ولكن حصلت هناك مشكلة كبرى ، بعد تعيين الثمن ، وهي ان بعض — الشاطرين — في ذلك المؤتمر قال اننا نخشى اذا اعطينا هذا المبلغ « مروان » صاحب القصة ثمناً لقصته يصبح بعد ذلك لا يكتب شيئاً الا بالمال وهذه هي الطامة الكبرى لانه يفتح فتحاً جديداً ويوجد بدعة خبيثة في شرع الصحافة السورية التي ما كفتها اعباء الطبع واجور العمال والمحررين الرسميين حق تبلى باجور الكتاب الفنيين مع ان الكتاب الفنيين يجب ان يكتبوا للفن وان يأكلوا فناً ويشربوا فناً ، ويلبسوا فناً ويدفنوا فناً .. اما ان يعطوا مالا في سبيل الفن فذلك ما لا يتناسب مع قواعد الفن! .. لانه يضر بالجريدة من جهة — وبالفن من جهة اخرى — لان الفنان

اذ اشتغل للمال ضاع فنه — واندثر ذكره ... ولا يحيا الفنان الا اذا مات جوعاً ؟

قال الراوي وبعد الاخذ والرد والعياط والمياط اتفقوا على ان تعطى لاربع ورقات مروان بمثابة « جائزة » وهي تشبه في هذه البلاد جائزة (نوبل) في اوربا ... وذلك حفظاً لمقام الفن من ان يثمن بثمن اما « مروان » — فقد قبل الاربع ورقات دون ان يبدي اقل امتناع واتجه بها مسرعاً الى حانة « تاكادا » حيث كان ينتظره رفاق الادب والافلاس بفارغ الصبر وفارغ الكيس وفارغ الرأس ليدفع عنهم اجرة ملاء رؤوسهم ... وكان يقول للذين دفعوا الاربع ورقات وهو ينظر بهم ملتفتاً وهم واقفون ينتظرون ابداء رأيه في كيفية حسبان تلك الكمية حسبوها ما شئتم ثمناً للفن ، او جائزة نوبل ، او مساعدة ، او حسنة ، او حق السكوت عنكم فذلك لا يعنيني لان صاحب الحانة لا يسأل عن مصدر دراهم التي يتلقفها بشوق زائد من اين وكيف اتت .

وفي الحال توارى الاديب عن الانظار

التسحو: في كل شيء

الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا

يقول الشاعر الانكليزي المرحوم كيبلنغ شاعر الامبراطوريه البريطانية الذي توفي امس كلمته المشهورة المأثورة : « الشرق شرق والغرب غرب ، ولن يلتقيا » .

وعندي ان هذا غير صحيح فانهما يلتقيان ولكن لقائهما سريعاً ما ينتهي بانهزام الشرق امام الغرب حيث يستحيل الشرق والغرب الى غرب خالص وحينئذ يضطر العلماء الى تغيير اسماء الجهات وحذف الشرق من بينها والى القارىء السبب :

اننا نرى الشرق والغرب منذ ان بدءا يتلاقيان فبدلا من ان يتصافحا ويتآخيا نرى الغرب اخذ يهاجم الشرق والشرق يندحر امامه بلا انتظام ، فلا يؤدي اندحار الشرق المستمر ومطاردة الغرب المستمرة له الى ان يصبح الشرق بعد امد قصير غرباً خالصاً وعلى سبيل المثال نقول :

ها نحن نرى الغرب اخذ في اكتساحنا من جميع النواحي ، فمعارفه اكتسحت معارفنا ، والحاده اكتسح تديننا ، ورجاله اكتسحوا رجالنا ، ونساءه وزوجاته اكتسحت نساءنا وزوجاتنا ، بل حتى رافصاته اكتسحت رافصاتنا كما ان بضائعه اكتسحت بضائعنا وموسيقاه اكتسحت موسيقانا

— بالاذن من محمد عبد الوهاب — وكذلك ازياؤه اكتسحت ازيائه ورقصه اكتسح رقصنا ، وسينماؤه اكتسحت قره كوزنا .

والاغرب من هذا كله ان كلابه اكتسحت كلابنا ، الا ترى كلابنا الشرقية كيف اضحى نصيبها المطاردة والتسميم من قبل ادارة الصحة لما علاها من اوساخ وامراض بينما تجد الكلاب الغربية بما تناله من نظافة وتربية بعيدة عن الامراض متربعة فوق الفراش والرياش واما كلاب ابناء البلاد فهي محرومة من كل النعم التي تتمتع بها كلاب الافرنج ونضيف الى ذلك ان القطط الغربية ذات الشعر الطويل اكتسحت ايضاً قططنا الشرقية ذات الشعر القصير التي كاد ينعدم جنسها لما تلاقيه من شظف العيش .

ولم يكفنا ذلك الاكتساح حتى رأينا الكتب الغربية اخذت تكتسح الكتب العربية وتحتل واجهات مكتباتها فمنذ عهد قريب كنت ترى في شارع الصالحية بضع مكتبات عربية وقد اخذت الكتب الغربية تكتسح الكتب العربية تدريجاً وهذه تندحر امامها مولية وجهها شطر ساحة الشهداء حتى اذا وصلت الى آخر مكتبة في شارع الصالحية رابطت هناك واتخذت لها خط دفاع احاطته بكل ما لديها من وسائل المقاومة فصمدت تلك المكتبة لهجمات الكتب الغربية مدة غير قصيرة وقاومت بكل ما لديها من ثروة ومن مهارة ومن غيرة على الكتب العربية وحرص على لغة الضاد ، ولكنها ازاء الهجمات القوية من جانب الكتب الغربية ومن جانب جيوش القراء الغربيين البواسل المثرين مضافاً الى ضعف جيشها

من قراء العربية وقلة عددهم وفقر اكياسهم وعقولهم تراخت قواها فاضطرت الى التسليم لجيش الكتب الغربية فاحتلت واجهة مكتبتها مختالة فخورة بما نالته من انتصارات هازئة بالكتب العربية وقرائها المنهزمين

والآن ارى الواجب يقضي باتخاذ خط دفاع قوي في ساحة الشهداء ليستطيع رد هجمات الكتب الغربية عن مكتبات السنجقدار خوفاً من ان تضطر الى الاندحار الى باب المسكية مأواها القديم الحصين ؛ .

رثاء مجلة

ننعي بمزيد الاسف الى الامة السورية وباقي الامة العربية مجلة «الثقافة» الدمشقية المرحومة التي بلغت سن الهرم وهي في سنتها الاولى وقد توفيت على اثر مرض مزمن يقال انه من نوع الفالج ، وقد حمل جنازتها الى مقرها الاخير الكتاب الآتية اسماؤهم وهم كتاب آخر عدد صدر منها نذكر منهم مع حفظ الالقاب «منير العجلاني» «ابراهيم الكيلاني» «كاظم الداغستاني» «جميل صليبا» «احمد الصافي» الذي كان يقوم بدور التأبين لهذه المرحومة «وداد سكاكيني» التي كانت تقوم بدور النواح ولكن نواح الثكلى لا المستأجرة ! .

والغريب من امر هذه الطفلة انها ولدت هزيلة ضعيفة البنية وقد ستغرب الناس منها ذلك لا سيما وقد رأوا انها بقيت في بطن امها سنتين كاملتين ومر عليها في المخاض ستة اشهر فكان الناس ينتظرون ولادتها قوية البنية كاملة (الاعضاء) فكانت النتيجة عكس ما كانوا ينتظرون وذلك اغرب ماشهدوا من امر المواليد اذ رأوا طفلة تتكون في سنتين وتمضي في المخاض نصف السنة وتموت في سنة واحدة ، ولعل السبب في ذلك يعود الى انها قضت القسم الاكبر من عمرها في بطن امها بدلا من ان تقضيه في الخارج او لعل السبب هو ما اصاب امها من عسر الولادة حيث مرت عليها اشهر المخاض والناس كل يوم يستبشرون بولادتها ولكن

امراض المخاض اخرت ولادتها الى ستة اشهر تقريبا او لعل ، السبب في ضعف بنيتها يرجع الى مادخل جوفها من حليب المرضعات وهم كتاب العدد الاول منها ويقال ان اولئك المرضعات كدن ان يخنقنها عند الولادة لانهن رأينها مسخا لا يستحق الحياة فلم يتوفقن بكثرة الضغط عليها لخنقها وان توفقن لاضعاف بنيتها .

ومما زاد فى استغراب الناس لموت هـذه الطفلة العجوز انهم كانوا يقدرون لها طول العمر بالرغم عن كثرة الوفيات في المجلات السورية نظرا الى ان القائمين على تربيتها كانوا ثلثة دكاترة وهم الدكتور جميل صليبا ، و الدكتور كامل عياد، والدكتور كاظم الداغستاني، على ان بعض المحققين يرون السبب فى سرعة الوفاة هو قيام اولئك الدكاترة على تربيتها وعلاجها ! فقد كان كل منهم يصف لها طعاما خاصا وعلاجا خاصا حتى اصيبت من تلك الاغـذية المختلفة والعلاجات المتنوعة بتخمة وتسمم في دمها اديا الى اصابتها بالاغماء شهرين اوثلثة وما كادت تفيق من اغمائها فى الشهر الاخير الا لتودع حياتها واقاربها واصدقائها وتوصي بتركتها من بدل الاشتراكات لمن تريد وكأنما كانت صحوتها «صحوة الموت» اجل انها ماتت رحمها الله بعد ان خلفت لها ذكرا طيبا عند بعض وسيئا عند آخرين !

وقد سمعنا ان بعض اولئك الدكاترة اخذ يلقى المسؤولية في وفاتها على عاتق زميل له مصاب بضعف في بصره مدعيـا ان ضعف البصر هو الذي منع الزميل المحترم عن رؤية الصفرة والهزال اللذين كانا مستوليين

عليها منذ الولادة ولكن ذلك عذر غير مقبول فان ضعف البصر اذا كان في عين احدهم فما بال عيون الاخرين اذن فليس الذنب لضعف البصر وانما هو لضعف البصائر ومهما كان من الامر فلا تنس الحديث القائل اذكروا حسنات موتاكم فنحن لا يسعنا الان الا استنزال شآبيب الرحمة عليها طالبين من المولى غفران ذنوبها . آمين

(١)

مصرع مقهى

ان كلمة (يخرب بيتك) كنت اسمعها كثيراً لدى الاستحسان والاستهجان على حد سواء كأن الاستحسان اذا بلغ حده اصبح كالاستهجان يدعو الى خراب البيوت ولذلك تجد خراب البيوت يصيب النوابغ والساقطين الى حد سواء . اما المتوسطون ذوو العقول التي تسير في وسط الحياة وتتقي السير في اطرافها حذراً من التزحلق الى هوة العدم ـ وما الحياة سوى جسر أمن من سار في وسطه وخاطر من سار في طرفه ـ فلا يخشى عليهم من خراب البيوت .

اجل كنت اسمع كلمة (يخرب بيتك) تلقى الي كثيراً ولكني ما كنت اعيرها ادنى اهتمام ذلك اني لم اكن اشعر ان لي بيتاً في هذا الكون اخشى عليه الخراب فاني اعيش دائما عيشة المتشردين من اوتيل الى اوتيل ومن جامع الى جامع واذا عرفت ان الجامع هو بيت الله علمت انه لا يخشى عليه الخراب ، هكذا كنت اسمع كلمة (يخرب بيتك) وامر بها هازئا لانها لا تحوي معنى كثير من الكلمات المستعملة مثل كلمة السلام عليكم وكيف حالكم وانا مشتاق اليكم وامثالها ، واذا حملت معنى يكون ذلك المعنى معكوس وليكن معنى كلمة (يخرب بيتك) معكوسا ولكنه ايضا لا يجديني

---

(١) ـ كتبت على اثر تحويل المقهى العربي بدمشق الذي قضى فيه الصافي نحوا من ثلاث سنين الى مخزن لبضائع شركة (١ . ب . س .)

نفعا لان المثل يقول اثبت العرش ثم انقش !

اجل ما كنت اعلم ان لي بيتا وان هذا الدعاء سيستجاب يوما ما في حقه ويصبح خرابا وما ذلك البيت سوى المقهى العربي المرحوم الذي كنت اسكن فيه منذ ثلاث سنوات اي منذ خولي دمشق حتى الان، وما كنت احسب ان هذا البيت سيخرب يوما من الايام ، ولكن لا كخراب البيوت التي يمكن ان تعمر او تبدل باحسن منها او مثلها فان المقهى العربي قد جمع من المزايا مالا اكاد احصل عليه في اي مقهى اخر لاسباب . اولا انه اول مقهى فتحب عليه عيني في دمشق وتعرفت الى دمشق وادبائها وصحافييها وشعرائها في جوه الجميل بما فيه من خان الاراكيل وقرقعة النرد وصياح الخدم وقوافل الشحاذين اصدقائي الكرام وكنت اسكن فيه منذ الصباح الباكر حتى ساعة متأخرة من الليل وبفضل ذلك اصبح لي هذا المقهى وطنا ثانيا يجب علي بكاؤه ورثاؤه . اليس حب الوطن من الايمان ؟ ثانيا ان هذا المقهى يقابل ساحة المرجة التي تعد من دمشق كالقلب من الجسم . ثالثا اني كما قلت عن نفسي :

أنا طائر لا يرتضي الارض مسكنا كأني بين الجو ابحث عن عرشي
ولكن دهري قص جنحي وارجلي فما حال طير لا يطير ولا يمشي

ومن هنا تعرف ايها القارىء ماذا كنت اناله من السلوى عند جلوسي في ذلك المقهى من مشاهدة حركة المجتمع امامي فاني بعد ان اصبحت لا استطيع التجول للتفرج على المجتمع فلا اقل من ان اجلس في محل ارى

المجتمع يتجول امامي ، وهذا لم يكن يتوفر لي الا في ذلك المقهى المرحوم الذي بفقدانه فقدت كل صلة تربطني بالبلد بل كل صلة تربطني بالدنيا . اما المقاهي التي صرت اجلس الان فيها فهي اشبه ماتكون بصالات لاتمت الى دمشق بصلة اذ لا اشاهد فيها سوى الكراسي والجالسين عليها ولا يتجول امامي سوى خدامها بمناظرهم المتكررة وطلباتهم المنفرة وانا حين اجلس في احد هذه المقاهي اشعر باني جالس في صالة يجوز ان تكون واقعة في النجف او في شرق الاردن او في طهران ولا اشعر اني جالس في دمشق

لقد كنت قبل اليوم اسمع بالصهيونية وخطرها وانها تخرج الناس من مساكنهم وتحتلها بقوة اموالها فكنت اتأثر لذلك تأثراً غير عميق اولا لان النار لاتحرق الا كف لامسها ، ومهما اظهر الغير من الانين فليست المستأجرة كالثكلى ثانيا لاني لم اكن اخشى الاستعمار الصهيوني من ان يحتل بيتا انا ساكنه او يستعمر ارضاً انا ما لكها وما كنت احسب ان الاستعمار الصهيوني سوف يزاحمني حتى على المقهى الذي اسكن فيه فاني منذ اليوم الذي رأيت فيه شركة باتا تنزل بجانبي وتضع رجلها بالقرب مني شعرت باضطراب في نفسي فسرته الايام بعد ذلك باقتطاع قسم من المقهى اضيف الى باتا وبعد ذلك اصبح المقهى الوسيع المربع كدهليز مظلم بعد ان منعت عنه النور والهواء وقطعت عليه الانفاس ماعدا انفاسها المحرقة . وقد رضيت بالسكني في ذلك الدهليز الذي اصبح يشبه مدافن الفراعنة لانه كان يطل بنافذته على المرجة او قل انه اصبح كمدفن يطل على الحياة .

والان بعد ان فقدنا المقهى العربي فلنلق نظرة على باقي المقاهي التي بقيت حية من بعده ولننظر هل يمكن ان تتوفر فيها وسائل الذوق والتسلية التي تتطلبها عيون الادباء ونفوس الشعراء وعقول الصحفيين واعصابهم المحتاجة لى الراحة بعد العناء ولنبدأ بمقهى الكمال الذي اصبح بعد المقهى العربي او قبل موته بقليل عش الادباء ووكر الصحفيين فنقول انه بالرغم عن ذوق صاحبه القهوجي كامل آغا عدو «الملوخية» الالد في تنظيفه وتجميله وتهويته انه بالرغم عن ذلك لا يشعر الجالس فيه الا انه في صالة واذا اطال الجلوس شعر انه مسجون في صالة تطل على شيء من السماء وقسم من جبين قاسيون . اما مقهى غازي فهو بالرغم عن رطوبة ارضه فله موقع جيد مضاف الى تظافة في الاثاث وجمال في البناء وذوق في الوضع والترتيب ولكنه مع الاسف مسدود بادارة فتى العرب الغراء التي تخيم عليه فتمنع على الجالس ارسال نظره الى ضفة بردى المصفق بالرحيق السلسل (قديما!) حتى يشعر الجالس في هذا المقهى ان تلك العمارة موضوعة على قلبه وبصره

اما مقهى النصر فهو رغما عما دخل عليه حديثا من اصلاح في البناء وجمال في الاثاث فهو لا يتصل بقلب دمشق وانما يتصل باحد شرايينها اعني شارع النصر وشريان صغير اخر هو زقاق رأسي .

اما المقهى في رأس سوق علي باشا فهو رغما من جمال موقعه فالجالس داخله يشعر بانه في سجن منخفض عن الارض هذا فضلا عن روائح الاطعمة التي تأتيه من داخل السوق وتجعله لا يشتهي الاكل مدة من الزمن واما

الجالس خارج المقهى فيشعر بالبرد القارس شتاء والحر المذيب صيفاً .

هذا فضلا عن اصوات السيارات المزعجة بهديرها وزئيرها وصفيرها مضافا الى اصوات السماسرة التي تغطي على اصوات السيارات ارتفاعا وازعاجا لاسيما حينما يتنافسون على المسافر المسكين على ان في هذا المقهى ميزة لاتكاد تجدها في سائر المقاهي وهي ان الجالس فيه يشعر انه جالس في مرفأ لما يرى من قوافل المسافرين وهو لايكاد يألف رفيقاً جلس قرب طاولته حتى يراه قد ازمع لرحيل واناب عنه مسافراً جديداً .

وها انا الآن ارسل الى روح المقهى العربي الذي كان مهبط وحيي والهامي ومستشفى اسقامي وآلامي وبيمارستان افكاري واوهامي ومنبع آلامي واحلامي وزهرة ليلاتي وايامي زفرة حارة تكاد تحرق بنارها جميع المقاهي الحية فسلام على بركته ونوفرته وتحية الى رؤسائه وخدمه وشوقا الى فطوره التي اصبحت اليوم مثلى بلا مأوى حتى يجمع الله بيننا في مقهى آخر .

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كل الظن ان لاتلاقيا

ولهذا كله لا احسب الاصدقاء والقراء الا عاذرين لي في حزني على (المقهى العربي) وألمي من (خراب بيتي) .

معجزة اطفال

اقامت جمعية الاسعاف الخيري بعد ظهر الجمعة الماضي حفلة موسيقية شائقة في مدرج الجامعة السورية ترأسها نابغة الفن الموسيقي السيد وحي حمدي البالغ من العمر تسع سنوات تقريباً .

وقبل انعقاد الحفلة كانت جوقة موسيقية مؤلفة من تلاميذ مدرسة الاسعاف الخيري تصدح بانغامها المنعشة على باب دار الجامعة وهكذا استمرت اكثر من ساعة ونصف وهي توقع الحانها بين الفينة والفينة حتى اذ عدد الحضور اشرأبت الاعناق فجأة لدخول ذلك الطفل النابغة يقود جوقة موسيقية لها من العمر اضعاف ما له ، وان شئت قل كان طفلا يقود جدته في السن وابناءه في الفن !

ابتدأت تلك الجوقة توقع انغامها وهي مهما اجادت في فنها فلم تكن تروي ظمأ الحاضرين الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر سماع اغاني نجوم الفن وآية النبوغ ، وكان ظمأهم في محله ، اذ لم يكد يصدح ذلك الصبي بصوته الملائكي حتى رأيت الحاضرين كأنما نقلوا بنغماته السحرية الى عالم غير الذي كانوا فيه ، واخذوا يصفقون تصفيقاً حاداً متمادياً بدون ان ينتظروا اتمام انشودته ، ذلك لان الطرب والعجب كانا قد بلغا بالمعجبين مبلغاً ذهب بارادتهم وترك عواطفهم تتحكم فيها اهتزازات تلك الانغام السحرية .

ولاريب فقد كان يخيل للمصغي الى تلك الالحان انه يستمع الى استاذ كبير وشيخ خبير درس الفن الموسيقي وتمرن عليه حقبة من الزمن لولا انه يسمع تلك الانغام تصدر عن فم طفل صغير وديع ، فى صوت رخيم رقيق ، تزيده لهجة الاطفال جمالا وعذوبة .

ان هذا الطفل لم يكن يوقع الحانه وينشد اغانيه حسب الاصول الفنية والقواعد العلمية الجافة بل حسبما يوحيه اليه شعوره الرقيق واحساساته الدقيقة التي خلقتها الطبيعة لتكون استاذاً يتلقى عنها الفن دروسه لا تلميذة تستمد من الفن ابداعها .

هكذا بقي المستمعون سكارى بخمرة تلك الانغام ، ولم يصحوا من سكرتهم اللذيذة الا عندما سكت ذلك البلبل الفريد عن ترجيعه حيث جاءت فترة الاستراحة ، واخذ الخطباء يتداولون قضاء تلك الفترة .

فجيء بالخطيب الاول وهو طفل لم يتجاوز الثالثة من العمر فاعتلى منبر الخطابة كخطيب مصقع مارس الخطابة والمنبر سنين عدة فكانت هيئته وحركاته وسنه وحدها كافية لاثارة عجب الحاضرين واشتداد تصفيقهم له ، فالقى خطبة بليغة كانت حنجرته الصغيرة وفمه الضيق تتوآن بمخارج حروفها الضخمة وتلطفان من قساوة تلك الحروف . هذا فضلا عن تقيد الخطيب بمتابعة خطى سيبوية في الحركات النحوية ! اما خطابه فكان متدفقاً بروح الاخلاص والاستعداد للتضحية في سبيل الحق والمبدأ ، فصفق الحاضرون لخطابه طربا واعجابا ، وقد اجتذب تيار التصفيق ذلك

الخطيب نفسه فاخذ يصفق مع المصفقين دون ان يفهم الغاية من ذلك التصفيق، ثم نزل بعد ان ودع الحاضرين بسلام عذب رقيق .

وتلاه الخطيب الثاني وهو طفل بين الثالثة والرابعة من العمر فالقى خطبته الحماسية ، وما كان يقل عن زميله بلاغة وشجاعة وادبا واخلاصاً ، ثم نزل عن المنبر بعدما علا هتاف الحاضرين وتصفيقهم له .

ثم جاء الخطيب الثالث وهو (طفل ...) في الخمسين من العمر يدعى فائز سلامه ! فلاح الابتسام على وجوه الحضور وعلا له الهتاف والتصفيق، فانشد ابياتاً في مدح ذلك الطفل الموسيقي او البلبل الصداح ، وما كان في هذا الموقف يقل عن زميليه الخطيبين بلاغة واسترسالا ، وان كان يقل عنهما جرأة واقداماً ! فقد صعد الى المسرح وهو مصفر الجبين مرتجف الاعضاء كأنما سيق ليلقي خطابا على المشنقة !

اما الابيات التي القاها الاستاذ فائز سلامه فقد قوبل بعضها بالتصفيق وبعضها بالضحك والبعض بالخجل ، اى ان خجل المستمعين لم يكن اقل من خجل فائز نفسه عند تلاوتها .

ثلاثة اقانيم في الشغب

بجه سقا . سيد سقا . حسن سقا ؟

لا اعلم هل ان لقب سقا يجعل صاحبه مشاغباً او ان هنـالك صدفة واتفاقاً او ثمة سر روحي لا أؤمن به كما لا أؤمن بكثير من الاسرار قبل ان ينكشف لي امرها .

فها انا الآن اعرض امام القارىء ثلاثة اشخاص او ثلاثة اقانيم في الشغب لا فى الالوهية وكل واحد من هذه الاقانيم يلقب بسقا .

اولها « بجه سقا » ثانيها « سيد سقا » ثالثها « حسن سقا » ؟ ولنأخذ في درسها وبيان نوع الشغب الذى كان يقوم به كل واحد منها مبتدئين ببجه سقا فنقول ان هذا الرجل الافغاني صاحب الاعمال الكبرى التي قام بها فى اثناء الثورة على مليك الافغان امان الله خان والتى انتهت باسقاط عرشه هذا الرجل لم يكن قبل الثورة الافغانية المعهودة يذكر في عداد رجال الافغان العاملين ولكن الثورة التى كانت ولا تزال اماً نجيبة في ولادة الابطال العظام هي التى اظهرت للملأ الافغاني هذا الرجل العصامي الذى لعب دوراً هاماً على مسرح السياسة الافغانية وفي ميادين الحروب وشغل الصحافة العالمية بذكر اسمه ومجيد اعماله وغرائب سيرته مدة لا يستهان بها .

اما حسن سقا المواطن الدمشقي فلا تخفى على القراء مشاغباته التى قام

بها ردحا من الزمن . ثم انقطع عنها فجأة واصبح اليوم منزويا متنسكا ضاربا بالسياسة والمشاغبات عرض الحائط قانعاً من نتيجة مشاغباته القديمة لا بكرسي يحصل عليه في احدى الدوائر الرسمية ككثير من المشاغبين الذين يشعرون بنجاة وطنهم من الخطر حينما يستلمون كرسياً في احدى الادارات فتخفت على اثر ذلك اصواتهم وتنقطع انفاسهم ويسكن شغبهم ويخمد لجبهم ، اجل ان حسن سقا لم يستفد من مشاغباته سوى كرسي غير ثابت في مقهى الكمال يقضي عليه كل نهاره ونصف ليله ولكن ذلك الكرسي لم يجعله يشعر بنجاة وطنه من الخطر كما يشعر بذلك ارباب الكراسي الرسمية حيث لا يحسون بعودة الخطر الى بلادهم الا عند التنسيق وحينئذ تقرأ وتسمع على صفحات الصحف وفي صدور الاندية مقالاتهم الطنانة وصياحهم المتواصل وبكاءهم وعويلهم في سبيل هذا الوطن المعذب ! . وقبل ان ننتهي من ذكر حسن سقا لانرى بأساً من الاشارة الى نوع المشاغبات التي كان يقوم بها فنقول ان ألمعها واوضحها واخلدها ذكراً هي مفرقعات حسن سقا ؟ التي كانت لسوء الحظ تنتهي بسلام فلا يسمع الناس سوى اصواتها الفارغة ككثير من الاصوات التي يرغبك سماعها وتضحكك نتائجها ! .

اما « سيد سقا » الفارسي الذي لم يسمع به اخواني العرب وخاصة السوريون فها انا اتولى تقديمه اليهم جسما اعرفه منذ عشر سنوات حينما كنت في طهران .

هو رجل ربعة القامة اسمر اللون رث الثياب حلو النكتة يشتغل عاملا

في البناء في مدينة طهران ولكن لا تكاد تقع مظاهرة في البلد حتى تجده خطيبها اللامع وقائدها المبرز ، وبعد ان توجه الحكومة قواها وشرطتها الى اخماد المظاهرة والقاء القبض على خطبائها وترى كلا من الخطباء قد ولى هارباً او اصبح في قبضة الشرطة هناك تجد السيد السقا قد تسلق بسرعة غريبة احدى الاشجار العالية التي لم تكن تخلو منها ساحات طهران العامة وشوارعها القديمة الواسعة واخذ يخطب في الجماهير حاثاً لهم على موالاة مظاهراتهم موقداً نار الثورة والحماس في نفوسهم ، اما الشرطة المساكين فتراهم واقفين بجانب الشجرة او « منبر الخطابة » ! وهم حائرون في معرفة الطريقة التي يستطيعون بها انزال ذلك الخطيب الغريب عن المنبر بعد ان عجزوا عن الصعود اليه باخذيتهم الرسمية وجزماتهم الثقيلة بعكس ذلك الخطيب الذي يسير حافي القدمين عاري الرجلين وقد اتقن منذ عهد اجداده ! — على رأي داروين — فن تسلق الاشجار .

لقد كان ذلك الخطيب الذي اعتاد عيشة التقشف يمتاز فوق ماذكرناه بصبر غريب على الصيام عن الطعام والشراب فقد يمضي عليه يومان او ثلاثة وهو متخذ له وكراً في الشجرة حتى اذا امن شر اولئك الشرطة بان ذهبوا في سبيلهم او غلبت على الحارس الموكل بامره وامر الشجرة سنة الكرى انسل من الشجرة انسلال الافعى واطلق ساقيه للريح . اجل كان هذا الخطيب يستطيع الصبر عن الطعام والشراب ولكنه لم يكن يستطيع الصبر عن المشاغبات والمظاهرات .

واما اساليب هذا الخطيب الغريب او العامل الامي البسيط في استفزاز الجماهير واستثارة حماسهم فقد كانت غريبة مبتكرة كمنبر خطابته ! واليك شيئاً منها .

سمعته يوماً من الايام واقفاً في ملأ من الناس يضم الجاهل والمتعلم وقد صعد على شرفة باب مجلس النواب يتلو خطابه الارتجالي حتى وصل الى هذه الفقرة قال :

« يا ابناء الوطن انظروا الى الدجاجة حينما تموت ميتة طبيعية لاشك ان مقامها يصبح في المزبلة او في الخرابة بين الاوساخ والاقذار ولكن حينما تخرج منها هذه القطرات من الدم اي حين تذبح اين يصبح مقامها ؟ لاريب حينذاك تعتلي موائد الامراء والملوك وتزين خوان الاعيان والاكابر ، فان شئتم يابني قومي ان يكون مقامكم غداً في المزابل بين الاوساخ والاقذار فموتوا ميتة طبيعية وان شئتم ان اكون مقامكم في قصور الامراء وعلى موائد الاكابر والملوك فماعليكم الا ان تريقوا هذه القطرات الحمراء فهذه القطرات هي سر الحياة وهي هي التي تجعل الانسان شريفاً محترماً ان سفكت وتصيره دنيا محتقراً ان حفظت » وما كاد يبلغ من خطابه الى هذا الحد حتى سمعت احد الخطباء المفوهين الذين اكملوا دروسهم في اوروبا يقول لزميل له ان هذا النوع من الخطابة وهذا الاسلوب المؤثر في استثارة الجماهير ودعوتهم الى التضحية وسفك الدم لم نتعلمه ولم ندرسه حتى في اوروبا وعلينا منذ اليوم ان نكمل دروسنا في الخطابة على هذا الاستاذ الامي او

الخطيب الفطري فاجابه رفيقه قائلا اجل ان كثيراً من الدروس يجب ان تؤخذ عن الامميين لا عن المتعلمين فما العلم الصحيح سوى دروس تؤخذ عن الحياة رأساً لا عن الكتب وان كثيرين من الذين يأخذون دروسهم عن الكتب لا عن الحياة يكونون قد حفظوا دروسهم ولكنهم لم يفهموها

الفصل الثالث

المرأة التي اريدها

اريد امرأة اتزوجها على الشروط الآتية :—

١ — ان لا تطلب مني مالا ولا جمالا ولا كمالا لاني لا املك شيئاً منها .

٢ — ان لا تطلب مني صحة لاني مصاب بالامراض الآتية حسب فحص الدكتور ، ضعف في القلب ، تضخم في الكبد ، مرض في الكلية ، داء الرمل ، ضعف الاعصاب ، الضعف العام ، التهابات في الحنجرة وغيرها .

٣ — ان لا تطلب مني بشاشة الوجه الا احياناً لاني كثيراً ما اكون جازعا عن نفسي ساخطاً على كل ماحولي ولا استطيع التبسم الصناعي لاني لست ممثلا .

٤ — ان لا تطلب مني ان انظم شعراً في وصف جمالها لاني لا استطيع التكلف فى نظم الشعر ولا يأتيني الشعر الا عفواً .

٥ — ان تكون ذات بيت ملك لها او مأجور لاني لا املك سوى

مقهى النصر نهاراً وحجرة في مدرسة الخياطين ليلا .

٦ — ان لا تكلفني السير الزائد ماشياً لاني ضعيف الجسم منهد القوى ، نعم اعطيها قولا بالتجول معها احياناً في بعض متنزهات دمشق القريبة على ان لا تكشف وجهها الا امامي وامام وجه الشمس لاني غيور فى الحب انانى في الجمال .

٧ — ان تكون جميلة جمالا متوسطاً لان الجمال المفرط يطير بعقلي وينفصلني عن المجتمع والعالم كما اني اشترط ان يكون جمالها المتوسط جذاباً ، اما السمرة والبياض فلا تهمني من بعد ان تكون جذابة .

٨ — ان يكون لباسها بسيطاً وشعرها مسترسلا وان لا تصبغ وجهها بالمساحيق لان هذه عندي من مشوهات الجمال .

٩ — ان لا تكون مثقفة ثقافة عالية لان الثقافة العالية تجعل احاديثي معها دائماً احاديث علمية ربما تفوقني فيها فاشعر حينذاك بضعفي وجهلي امامها ، هذا فضلا عن ان ثقافتها العالية تجعلني اخجل من اظهار عواطف الحب امامها ، كما يخجل الشاب من اظهار عواطف الحب امام استاذه . نعم يجب ان تكون على شيء من الثقافة لتفهم احاديثي وآرائي في الحياة والادب ويجب ان تكون خفيفة الروح حاضرة النكتة لتسليني عن آلامي وان لا تكون شاعرة لاني اخشى منها اذا اطلعت على عيوبي الجمة ان تهجوني وتجعلني اضحوكة بين الازواج ...

اما السبب الذي يدفعني الى طلب الزواج مع هذه العاهات الجسيمة

فهو ان قلبي رغماً عن هذه العاهات يحب الجنس اللطيف ولا استطيع ان اكبح جماحه اكثر من ذلك كما لااستطيع ان ابقى مترهباً الى آخر حياتي ولا رهبانية في الاسلام واما الشيء الذي استطيع تقديمه الى تلك التي ترضى بي زوجا فهو قلب نقي وروح صافية وحب خالص لها دون باقي بنات جنسها.

* * *

هل الصافي سره عرائس ؟

القلب لا يقسم بين اثنين !

بعد نشر المقال السالف تحت عنوان (المرأة التي اريدها) في جريدة الجزيرة مرت بضعة ايام واذا بهذا الجواب ينتشر في تلك الصحيفة ولما كان هذا الجواب من ابدع واروع ما يمكن أن يكتب في هذا الموضوع رأينا اثباته هنا تقديراً لنبوغ كاتبته التي حرصت على كتمان اسمها مجاراة لبيئتها ولاسرتها ذات المقام الرفيع المحافظ على تقاليده والى القارىء المقال :

نسي الصافي عروسه فراح يخطب ويغوى الفتاة الساذجة بقلب يخصها به من دون بنات جنسها ان اقبلت عليه ..

وانى يجد قلباً يتصرف به . ومتى كان قلب الشاعر ملكا له

ان بامكانك ، ايها الشاعر ، ان تمهر عروسك من جسمك — على مافيه من ضعف وتهدم حسب فحص الدكتور — با كثر مما يمكنك ان تمنحها من قلبك الذي قدمته لي ولا تستطيع انتزاعه مني انا عروسك التي يظهر

أنك ملتها — لتقلب في طبع الشاعر — فانكرتها ورحت تبحث عن ضرة لها متناسياً ان تزاوج الاجسام لا يمهر بالقلوب ؟..

ليت شعري ما الذي انكرت مني ، انا العروس الفتانة التي اتخذتك على علاتك وقبلت بشروطك ، فاخلصت لك الود واصفيت لك المحبة ، وقنعت (بقلبك الضعيف) ولم اسألك « مالا ولا جمالا ولا كمالا » !

انا التي اذا ما انتفخ كبدك واهتاج في كليتك المريضة «عج العجاج» مشيراً رملها او تضرمت نار « الالتهابات في حنجرتك وغيرها » ، لزمت فراشك ، امرضك واواسيك ، معرضة نفسي لخطر الاحتراق بما قد يندلع مع انفاسك من السنة اللهيب القريب من فمك !..

انا التي اذا ما استولى عليك ضعفك الكلي ، فعجزت عن الحياة الى العزلة ، وجدتني بالقرب منك اؤهل وحشتك واستفز قواك وانعش اعصابك المتداعية ، كي يعود اليك طعم الحياة الشهى

انا التي لم اكلفك عمري عناء الابتسام المصطنع ، بل كنت كلما تجهم وجهك وزاد عبوسك ، تبرما بالحياة واهلها ، اعطف عليك بحنو ، واستمع لبثك وشكواك ، وما هي الا بضع نفثات ، ترسلها من فمك او من اطراف انا ملك باحياء مني ، واذا بالكرب قد زال او كاد ، واذا بالقطوبه اصبحت ابتسامة صادقة طروبة ، فيها كثير من مرح الشاعر ومجونه !..

انا هي التي لم تطلب منك قط ذكر جمالها في شعرك ، لاني واثقة من تسلطي عليك وعلى مشاعرك ، فلا تقول الشعر الا مستلهماً اياه مني ، فتغني

حيالي بالرغم منك محتاجاً الى ذلك لا مكرها فيه

تريد زوجة تملك بيتاً او ما تستأجر به بيتاً . فهل جشمتك يوماً عناء الاهتمام بسكنى وهلا ظلات متنقلة معك حيث ذهبت ساكتة ابدا ودائماً على متناول يدك متى شئت

هل اتعبتك يوماً بالتجوال معي وهل طلبت اليك ان تكلف رجليك الواهيتين عناء السير ، ولو بضع خطوات من اجلي

اولا اسندك بذراعي وانت تسير في منتزهاتك القريبة بين الازهار والرياحين لافتة نظرك الى ما قد يفوته من جمال وكأني يتغلغلي في نفسك اضاعف بمشاعري مشاعرك وقوة حواسك ، فتشعر بما لا يشعر به سواك يوماً من النظر الى وجهي طيلة صحبتي ، وهل لا خصصتك بنعمة جمالي وباعدت بذلك عن « قلبك الغيور الى ضعفه » داء الغيرة القتال الذي تسلطه علي الآن ..

او تطمح بجمال يروقك فوق ما انا عليه . يالك من كافر بالنعم ؟!.

اولا اسعي جهد المستطاع فى ارضاء ، ذوقك ، « وشذوذه » فاكون دائماً على المثال الذي تريد وتشتهي ان شئتني حضرية عصرية وان شئت بدوية ساذجة ، ان شئت سمراء وان شئت شقراء — من غير مساحيق ان شئتني طويلة القامة رشيقتها انتصبت قامتي وارتفعت هامتي من غير حذاء عالي الاكعاب وان شئتني عكس ذلك كنته . . ! على كل ماظهرت

مرة لعينيك الا جذابة كما تريد ، وباللباس الذي يروقك، او عارية الجسم مستترة بشعري المرسل على ماتهوى وتحب .

او لم اعهد اليك بنفسي تثقفها كيف تشاء حتى صارت لها ثقافة وادعة قوية ، تثير عجبك ، وتبدد كلفتك فكأنك باطمأنانك اليها وحيداً لا تلقي عليك غير نظرات عينيك معكوسة بمرآة ، فلا تتحرج من اظهار عواطفك ولا تخجل من الاستسلام لها واطاعتها بما قد يكون فيها من شذوذ لا يؤخذ على شاعر

او تطمع ان ترى اخف مني روحا واعذب نكتة ، انت الذي بفضل معاشرتي خفت روحك وعذبت نكتك . وهل تعتقد ان في العالم غانية سواي تنظر بعين الاعجاب والرضى الى العيوب التي ذكرتها .

اما السبب الذي دفعك الى قبولك مع هذه العاهات الجسدية ، فهو انى لا حاجة بي الى اكثر من « قلب يحب الجنس اللطيف » ولا يخضع في حبه اياه لقيد او شرط ، ولانه لا يمكنني ان اتزوج سواك لانى من صنفك ، ولا استطيع ان ارهب اذ لا رهبانية في الاسلام .

ما دمت يا صافي تريد ان تتزوج بقلبك فقط ، اي بما ليس ملموساً فيك، فلا بأس عليك ان تقنع وتكتفي بعروسة مثلي معنوية ، تحسها ولكنك لا تلمسها ، توحي اليك الشعر من عالم الخيال فتخلدها به وحذار ان اهجرك ان اتخذت عليّ ضرة وهيهات ان تجدُ في عالم المادة مثيلا لعروسة الشعر . .

[سليمى]

* * *

الى اصحاب الوجوه الدميمة

انا احب النساء ولكن النساء ويا للاسف لا تحبني ولهن الحق في ذلك لاني عديم المال ضعيف الجسم دميم الوجه وقد قلت فى هجاء وجهي

وجهي دميم وقلبي عدو كل دميم
الفي جفائي وأني اراه غير ملوم
لو كان وجهي يكفي القيته في الجحيم

وها انا قد اشرفت على الاربعين من عمري وحتى الآن لم احظ بحب امرأة ولم اقابل بنظرات الحب امرأة دميمة او جميلة جاهلة اومتعلمة شاعرة او جامدة الا وقابلتني بالاعراض والازدراء حتى يئست من نجاحي بالحصول على عطف المرأة

ولكن الغريب هو اني فى السنة الماضية التقيت بسيدة المانية على غاية من الجمال وقد طابت التعرف الي بعد ان سمعت باشغالي في مهنة الشعر وما كدت اقرأ لها ابياتا من شعري وتسمع ترجمتها حتى اقبلت علي وابدت لي من الحب والعطف ما لم اكن به جديراً وبالنتيجة احيت في قلبي املا مات منذ عشرات السنين وجعلتني اشعر بما شعر به آدم حينما عثر على حواء فقلت لصاحبي ان هذه اول مرة اجني فيها ثمرة شعري !

وقد دعاني ذلك الحادث الى التفكير فى معرفة سر انعطاف هذه السيدة نحوي دون باقي بنات حواء وقد اختلفت الآراء في معرفة ذلك السر

فقال احدهم السر هو انها عطفت عليك عطف اشفاق لا عطف محبة فقلت له ولـكن اين تلك العاطفة الشريفة في باقي بنات جنسها

وقال آخر بل ان هذه السيدة من جمعية الرفق بالحيوان ؟ فقلت له انى افتخر بهذا الرفق لا سيما وقد لقبت نفسي بشاعر الحيوانات ترفعاً عن ان اكون شاعر البشر ولـكن ألم توجد بين نسـاء الشرق واحدة رقيقة القلب والشعور تعطف على هذا الحيوان الناطق

وقال آخر بل السر هو ان بعض السيدات الغربيات ولوعات بذوى الوجوه الدميمة وكأنما هن قد شبعن من رؤية الوجوه الجميلة على العكس منا ابناء الشرق . فقلت الم تجد هذه السيدة دميما غيرى تبادله الحب ولو صح ذلك لوجب علي وعلى جميع زملائى في الدمامة السـفر الى اوروبا للمتاجرة ببضاعتنا الممتازة او بوجوهنا الـكاريكاتورية

على اني عندما سألت تلك السيدة عن سر اقبالها علي دون باقي الشباب الجميلين المثرين الاصحاء الذين كانوا معي اجابت بانها هي شاعرة ايضاً وان الرابطة بيننا هي رابطة الشعر والادب ولـكن قلت في نفسي كيف يكون السر رابطة الادب والشعر بينما انا قد تعرفت الى اديبات وشاعرات كثيرات من سيدات الشرق ولم ار منهن سوى عبوسـة الوجه او ابتسامة التهكم ، اجل توجد كاتبة ادبية كبرى تدعي انها تحبني ولـكن حبها لي اذا صح فانما هو رابطة البشاعة لا برابطة الادب . وقلت في نفسي لا بد ان يكون هنالك سبب آخر دعا هذه السيدة الالمانية الى حبي وهو

ان المرأة الغربية لا سيما الالمانية والانكليزية تثقفت ثقافة علمية واخلاقية عالية خففت من انانيتها فاصبحت تسعى في الحياة وراء مثل اعلى واسمى من المال والجمال وصارت تعطى الامور الروحية قيمتها الكبرى بينما نرى المرأة الشرقية لا تزال مهم بسفاسف الامور وتسعى دائماً لاشباع رغبتها وارضاء انانيتها ولئن سعت حينا فى سبيل النفع العام فهى تسعى فى ذلك طلباً للشهرة او سداً لنقص فى ناحية من جمالها او توصلا لحبيب يعجب بمواهبها او خيبة في حب تدعوها الى التنسك والترهب وخدمة ابناء البشر او غير ذلك من الاسباب ولست اخص المرأة الشرقية بهذا التنديد وانما اجعل تنديدي عاماً لكل من الرجل والمرأة بل اعطى الرجل نصيباً اوفر من تقريعي وتنديدي لانه اولا هو المسؤول عن تربية المرأة وثانياً لان هذه المساوىء من التربية الضعيفة والاهتمام بالمظاهر الفارغة والزخرف والطلاء في الوجوه والكلام والسعي وراء ارضاء طلبات النفس وضعف الارادة امام النوازع النفسية كل هذه ادواء اصبحت منتشرة بين القسم الغالب من شبابنا حتى كادوا يفقدون معها رجولتهم ويزاحمون المرأة على الحمرة والتطرية وتلميع الشعور والتحلية ، وكل السبب في ذلك يرجع في نظري الى التربية الاجنبية التى دخلت على بلادنا ومدارسنا دون ان يؤخذ رأينا فيها او ننظمها حسبما تقتضيه المصلحة العامة والاخلاق المتينة وما مالك بشباب تحتم علينا معارفهم دراسة شعر ابى نواس بكل ما فيه من نواحي الخلاعة التى تمثل اسفل ما وصلت اليه الاخلاق العربية من الترف والانحطاط في

الدور العباسي تحت تأثير الاختلاط بالاعاجم حتى انتهى ذلك الدور باضمحلال الامبراطورية الكبرى ، والآن اعود الى الجنس اللطيف فاطلب ان اعرف مظاهر الرقي فيه فاقول اين اديباتنا واين شاعراتنا واين مجلاتنا النسائية واين اهتمام متعلماتنا بتدبير المنزل وتربية النشء حسبما تقتضيه المصلحة الاخلاقية واقول في الختام ان تأخر نسائنا ناشيء من تأخر رجالنا ناشيء من اسباب يعلمها الله والراسخون فى العلم وعصبة الامم

نظرات

الفصل الرابع

نظرة فى الشعر

لقد وضع القدماء والمتأخرون من ادباء الشرق والغرب حدوداً ومقاييس للشعر تختلف باختلاف عوامل البيئة والثقافة التي يمتاز بها كل منها ، ولا اريد الآن ان اتعرض لشرح تلك الحدود وبيان تلك القيود وضبط هاتيك المقاييس الطويلة العريضة التي خصص لها الادباء قديماً وحديثاً صفحات واسعة في كتبهم وانما اريد ان انظر الى الشعر نظرة خاصة من نافذة كوخي الذي اسكن فيه بالقرب من مدائن الشعر الواسعة وقصوره الشامخة . أجل اريد ان ابدي رأيي الخاص في ماهية الشعر الذي جريت وجرى عليه قبلي كثيرون من شعراء الجاهلية يوم كان الشعر لديهم لايزال بكراً لم تعبث به ابحاث النقاد ونظريات الفلاسفة وآراء العلماء ولم تدخل عليه الصنعة والزركشة والحمرة والتطرية واصباغ الادب التي تأتي بها الحضارة قديمة كانت او حديثة .

لقد كان الشعر الجاهلي واسطة لاظهار شعور الشاعر بكل ما يستفزه ويستثيره من شؤون الحياة وعوامل الطبيعة فلا يكاد يمر بنظره على شيء من مؤثرات الكون حتى يجري على لسانه شعراً صادقاً يمثل لنا تلك الحياة بما فيها من هواجس وصور ، اما اليوم فقد اصبح الشعر غالباً وسيلة لارضاء الجماهير او لارضاء الفن — كما يقولون — وان لم يكن مرضياً لشعور الناظم او مرويا لعاطفته او مطفئاً لغلة نفسه ، اجل اصبح الشعر اليوم وسيلة لارضاء الغير ولتمثيل رغبات المجتمع الظاهرية التي يعلنونها في اندية وينشرونها في صحفهم ، اما رغباتهم الحقيقية الباطنة التي لا يجرأ احدهم على التصريح بها خوفا من مخالفة العرف السائد ومعارضة المصطلح العام ومصادمة النفاق المتبادل بين الجميع ، هذه الرغبات والهواجس الحقيقية الخفية التي يعلمونها ويكتمونها او يحسونها بكيفية غير واضحة ولا يستطيعون تبيانها وقد اوكلت الطبيعة الى الشعراء وحدهم الذين هم السنة الامم الفصيحة الصادقة ان يعربوا عن تلك الهواجس ويفصحوا عن تلك الاحساسات ويبرزوها من عالم الابهام الى عالم الوضوح ، ويفسروا للناس في يقظتهم ما يرونه في احلامهم ، اجل تلك الرغبات الحقيقية والهواجس المبهمة لا تكاد تجد شيئاً منها في شعر شعراء اليوم وانما تجد الشعراء مندفعين بتيار غير تيارهم — ان كان لهم تيار — او تراهم يصورون لك صوراً منمقة مزركشة مؤلفة من الفاظ موسيقية وعواطف مبتذلة او مصطنعة تشبه في تكلفها الفاظ المجاملات الرسمية المصطلح عليها بين الدول حيث لا تعرب

عن شيء فى النفس وانما تعرب فقط عن المجاملات الفارغة التى يقصد منها نيات سيئة تخالف في غايتها ظواهر تلك الالفاظ التى هي كليشات ليس الا ، تستعمل لكل مناسبة رسمية فهناك كليشات التتويج وكليشات التعزية وكليشات المواليد وكليشات الزيارات والملاقاة الى غير ذلك . وكما ان لكل اجتماع رسمي لباساً رسمياً خاصاً فله ايضا كلام رسمي فارغ — وكذلك اصبح الشعر عند شعرائنا اليوم كليشات فارغة ، نعم ربما كانت بعض القطع المنمقة والتي قصد بها ناظموها تقليد شعراء الغرب تهز النفس بتصويرها او بكلماتها الموسيقية الرنانة ولكنك اذا فحصها بمنظار البصيرة وجدتها لوحة تصوير لا فلذة روح ولا ترجمان شعور اذ لا تصور لك نفس قائلها وحياته وهو اجسه ، ولهذا السبب ترى انك اذا قايست بين الشعر والنثر اليوم وجدت النثر يمثل الحياة المادية والروحية السطحية الشبيهه بالمادية ، اما الشعر فلا يمثل شيئاً لا من الحياة المادية ولا من الحياة الروحية الدقيقة التي عهدت الطبيعة الى الشعراء بتمثيلها تمثيلا صادقا اذ يعجز كتاب النثر من غير الشعراء عن الوصول الى كنهها . واذا شاء شعراء اليوم ان يمثلوا لنا شيئاً من الحياة الروحية الصحيحة فانهم لا يمثلون لنا الا الناحية الغرامية ذات العواطف المبتذلة الضعيفة البسيطة الجاهزة لدى كل انسان تستثيره المرأة شاعراً كان او غير شاعر مع ان وظيفة الشاعر الدقيق الشعور الذي يحس باشياء لا يحس بها باقي الناس او يحسون بها ولكن بصورة مبهمة — ان

يترجم لنا تلك المشاعر الدقيقة ، اما بيان عواطف الحب والغرام البسيطة فيقدر عليه حتى طبقات الحمالين والبقالين .

* * *

وهنا لا بأس من ان القي نظرة على مايسمونه بالادب الرمزي او بالاصح ادب الطلاسم الذي يعتمد على الفاظ موسيقية رنانة وتعقيدات متصنعة ومعان سطحية واهنة وعواطف مبتذلة فيقضي القارىء المسكين اوقاتاً طويلة في فهم تلك الرموز وحل تلك الطلاسم في هذا العصر عصر السرعة واستثمار الوقت — وبعد ان يفهم تلك المعاني يجدها معاني عادية اخذت قيمتها من اضاعة الوقت في استكشافها لا من ذاتها وكلما صرف المرء جهداً اكثر في تحصيل شيء زادت قيمته عنده وكانت تلك القيمة للمجهود لا للشيء . ولذلك يجد المرء لذة في اكل السمك الذي اصطاده بيده اكثر من السمك الذي اشتراه من السوق وهكذا القول في قيمة تلك المعاني الرمزية فهي كقيمة النقد الذي يستخرجه الانسان من تحت الارض بعد جهود كثيرة فيصبح ذا قيمة لديه ولو وجد نظيره في [الانتيكخانات] لما اعطاه تلك القيمة واذا سلمنا ان للابهام جمالا فيجب ان نعرف ان جمال الابهام هو جمال عدم الفهم ! !

وهنا نرى واجباً علينا ان نلفت نظر القارىء الى ان ما انتقدناه في الادب الرمزي هو ان تكون المعاني سطحية ولكن تأخذ ابهامها من وضعها في الرموز والطلاسم اما اذا كان الادب الرمزي مبنياً على ان يكون المعنى

بحد ذاته عميقاً وقد بقي مبهما بالرغم عن سعي الشاعر لتوضيحه لانه بعيد التناول فانا نرحب بهذا النوع من الادب الرمزي ونضعه في اعلى طبقات الادب ، ولا بأس هنا ان نذكر للقارىء الكلمة الشائعة بين ادباء الفرس سيما المتصوفين منهم في التفريق بين جلال الدين الرومي ومحيي الدين بن العربي الامامين الكبيرين في التصوف . قالوا : (ان ابن العربي جعل البديهي مشكلا اما جلال الدين الرومي فقد جعل المشكل بديهياً) ومعنى ذلك ان ابن العربي جرى على طريقة الادب الرمزي في معمياته والغازه فاضاع اوقات القراء وجعلهم يتخبطون في دياجير الاوهام والتكهنات والحدس والتخمين وحينما يتوفق احدهم لكشف مراده وفهم معناه يجد المعنى سطحيا لا يستحق ذلك الجهد والتعب . ونذكر من باب التفكهة مثالا عن طريقة ابن العربي في ابهامه وهو هذه الحكاية التي وان تثبت تاريخياً فهي تدل على طريقته في الابهام وهي ان ابن العربي وقف يوما امام الجماهير في احد جوامع دمشق وصاح قائلا : ايها الناس ان معبودكم تحت قدمي فما كان من الجماهير الذين لم يفهموا مغزى قوله وحملوا كلامه على الكفر والزندقة الا ان هجموا عليه وقطعوه اربا اربا وبعد مرور مئات السنين سمع احد الملوك العارفين هذه الحكاية فقال للناس : احفروا حيث وضع ابن العربي قدمه فحفروا ووجدوا ثمة ذهباً مكنوزاً فكان ذلك تفسيراً لكلام ابن العربي المبهم الذي اودى بحياته) ، وهنا نقول لو صحت الحكاية : ما كان ضر ابن العربي لو اوضح مراده لاولئك الجماهير وقال لهم ان الذهب الذي

اتخذوه معبوداً من دون الله هو مكنوز تحت قدمي . فيكون بذلك قد حفظ حياته ونفع غيره با كتشاف الذهب وانفاقه ولكن ماالعمل وهو مرض الابهام والطلاسم الذي ينتهي على الاغلب بصاحبه وحده او مع غيره الى الموت ويضيع على الناس اوقاتهم وفوائدهم كما اضاعت رموز جابر بن حيان كثيراً من الاعمار والاوقات والنفوس والذهب في سبيل ا كتشاف طريقة صنع الذهب وكما يضيع اليوم كثير من الشعراء الرمزيين اوقاتهم واوقات قرائهم في سبيل المعاني النحاسية التي يحسبونها ذهباً

اجل اننا نحارب الادب الرمزي القائم على المعنى البسيط والتعقيد اللفظي اما الادب الرمزي القائم على التعبير الواضح والمعنى العميق البعيد التناول فانا نرحب به ونقدسه .

ولقد بلغ الصنعة والتكلف بالشعر في هذه الآونة حداً اصبح به بعض الادباء يضعون مقاييس وحدوداً وقيوداً للشاعر الحر الطليق الذي لم يكفه التقيد بالوزن والقافية حتى اضافوا له سلاسل واغلالا اخرى تأخذ بخناقه وتلجم روحه وشعوره وتعرقل سيره فقالوا له مثلا : يجب ان تنظم في تلك الموضوعات قصائد طويلة وفي هذه الموضوعات مقطعات قصيرة لا تتجاوز العشر ابيات او العشر سنتمترات واذا بلغت في نظمك شعرت منها بتأثر السامع فاسكت وانقطع عن تكميل نظمك واتمام شعرك وانهاء شكواك خوفا على السامع من ان ينقطع تأثره او يعتريه الملل من شعرك) غير عالمين ان الشاعر انما ينظم ليرضي نفسه ويشبع عاطفته ويكمل شكواه

ويفرغ شهوته ورغبته مهما جرى على السامع من وبال وتأثر واحراق فانما الشاعر كالراعي الذي يمسك شبابته بين قطيعه وينفخ بها في الصحراء مغنياً لنفسه منعشاً لروحه لا يهمه ان يستمع لأنينه عابر سبيل فيشاطره اساه او من ينزعج من انينه فيعرض عنه . وما ذا ترى يكون الموقف لو قال عابر السبيل لذلك الراعي النافخ فى نايه وسط الصحراء : يجب عليك ان تغير لحنك الى هذه الطريقة او الى تلك الطريقة . الا ترى ان الراعي سوف يجيبه باستمراره على حنينه غير مصغ الى تقرعات ذلك المتطفل وتدخلاته او يجيبه بكلمات تورثه الندم الى تطفله . اجل . هذا هو شأن الشاعر الحر وليس شأنه الموسيقيين والمغنين المستأجرين فى المسارح العامة الذين ينطقون بما لا يريدون ويئنون مما لا يحسون ، على الشاعر الحر ان يكمل انينه ويفرغ حنينه ويكمل شكواه ويتم رسالته حتى اذا افرغ ما في نفسه انقطع عن النشيد كما ينقطع السيل عند انتهائه وهدأ كما يهدأ البركان عندما تنفد حممه او ينطفىء أواره ، اما الصنعة والاسلوب وانتقاء الالفاظ فتلك امور يجب على الشاعر ان يفكر فيها بعد انتهائه من شرح هواجسه وبث وساوسه وافراغ رغباته وتكميل شكاياته وحينئذ يعمد الى اصلاح كلمة او تحسين اسلوب او ابدال لفظة باحسن منها واوقع فى السمع بشرط ألا يخل ذلك الابدال والاصلاح اللفظي بتبيان تلك الهواجس الطبيعية التي جاءت مرسلة متدفقة في اثناء النظم ، وهذا هو السبب في انك اذا قرأت الشعر الجاهلي

وجدت امامك هو اجس ذلك العصر لا تكاد تجد شيئاً من هو اجس النفس ومشاعر المحيط امامك

هذا رأيي في الشعر وعليه ارى من الواجب على كل من وهبته الطبيعة فطرة شاعرة وقريحة ساحرة ورغب في مزاولة الشعر ان يبدأ اولا بقراءة الشعر الجاهلي ويتفهمه جيداً لا لينسج على منواله ويطبع على غراره فان لكل عصر خصائص يمتاز بها عن العصر الآخر ولكن ليتعلم منه الطريقة الطبيعية التي كان يتبعها اولئك الشعراء الفطريون في بيان احساساتهم وابراز ما تجيش به نفوسهم الى اى ناحية من نواحي الحياة الواسعة التي تقع عليها عيونهم دون ما خوف ولا وجل ولا خجل من بيانها ولا تقليد لغيرهم فى طريقة اظهارها ؛ نعم قد يجد المتتبع لأشعارهم شيئاً من التقليد يظهر خصوصا في كثرة وصف الاطلال سيما في اوائل قصائدهم ولكنه لا يكاد يسير معهم قليلا حتى يرى كلا منهم قد انفرد لنفسه واخذ يسير وحده سالكا طريقه الخاص به متكلما بطابعه الفردي

* * *

كتاب نضال

— للاستاذ نجيب الريس صاحب جريدة القبس —

لا ارى منظرا يستفز نفسي اجمل من منظر البركان الهائج وهو يقذف حممه ويرمي شظاياه اذ اراه يمثل العظمة والقوة واليأس والشدة والاثارة

والاحراق فى آن واحد ، على ان شيئا واحدا يشوه جمال البركان وهو انه يقذف حممه على المجرمين والابرياء على حد سواء، فاذا اشتقت ايها القاري الى ان ترى بركانا عادلا عاقلا لا يقذف حممه الا على رؤوس المجرمين ولا يحرق بشظاياه الا العتاة الظالمين فانظر الى الاستاذ نجيب الريس عندما يكتب مقالاته حيث تشاهد امامك بركانا يحرق المجرمين وينير سبيل الابرياء الوادعين .

وهو في اليوم الذي يحمل العذاب لقوم يحمل الرحمة لقوم آخرين . أجل ان نجيب بركان نقمة للظالمين وسلسال رحمة للضعفاء والبائسين ان نجيب قوي رحيم وهل يكون القوي الا رحيما وهل يكون الضعيف الا قاسيا. ان نجيب هو كاسمه نجيب وهو محامى الضعفاء الذي لا يتقاضى اجراً على محاماته سوى ارضاء الضمير وشكر النفوس الحساسة المخلصة ولولا ان في نجيب هنات يعرفها كل من عرفه لبلغ الكمال ولكن هيهات فان الكمال لله وحده .

ان نجيباً صحفي عسكري يحارب بقلمه ويؤلف جيشاً من نفسه ثم يضم اليه جيشاً من قرائه ثم يسير بالجيشين الى ميادين البطولة والتضحية أجل هو عسكري ولكنه رحوم ينطبق عليه قول الشاعر :

قلبي به قسوة الفتك تدفعه ... وفيه عطف فهل قلبي به بله

ابغي لخصمي ان اردية منتقما ... لكن اذا كدت اردية ارق له

اذكر اني لما كنت فى طهران كان يعجبني من كتاب الفرس كاتب

واحد قدير هو « علي الدشتي » منشىء جريدة « شفق سرخ » فقد كان هذا الكاتب يضطرني الى قراءة مقاله والتأثر بكل ما يكتب مهما كان مخالفاً لرأيي ومهما كنت سأئما من القراءة ضجرا من المطالعة ومهما كان الضعف العصبي مستولياً على روحي وفكري فقد كنت عندما ابدأ يقال ذلك الكاتب الفارسي اراني اصبحت اسيراً له يقتادني اينما يريد ويسيرني كيفما يشاء . وكيف استطيع الهرب من اسر مقالة ومجرد رؤيتي لأسمه في الصحيفة يدعوني الى قراءة كل ما يكتب، ولكن هذا الكاتب القدير كان يعوزه شيء واحد هو الاخلاص فقد كان يستطيع بما لديه من قدرة بيانية وبصيرة نافذة وفكر منطقي ان ينفذ الى روح الاشياء وينظرها من وجهها الابيض والاسود فيمدحها متى اراد ويذمها متى شاء . بل كثيرا ما استطاع بمقدرته البيانية وقلمه المنطقي ان يجعل الحق باطلا والباطل حقاً .

اما نجيب الريس فهو وان شابه ذلك الكاتب في مزاياه الاولى من التأثير في القراء بمقالاته وآرائه وثورته واندفاعه فانه يمتاز عنه بالاخلاص لرأيه حيناً ولعاطفته احياناً وهيهات ان يكون مخلصاً لمنفعته وهو اذا ناقض نفسه يوماً ما الايام وذم شخصاً كان قد مدحه من قبل فليس ذلك جلباً لمنفعة او مجاراة لمصلحة بل اخلاصاً لشعور واندفاعاً وراء عاطفة وما ذاك الا ان نجيباً خلقه الله شاعراً حساساً وكاتباً قديراً فهو يكتب بعقله وقلبه معاً ولا ادعي له ذلك في جميع ما يكتب فكثيراً ما يكتب مقالاته مسوقا

يدافع الصحافة وواجب المهنة فتراه متلطفاً فيها وتلك المقالات معها حوت من درس وتحليل فلا تستطيع ان تهز القراء لا سيما مقالاته التي صار يكتبها في العهد الاخير وهو ينظر الى قلمه الناري بين والى سيف التعطيل المصلت على رأسه بالعين الاخرى فيضطره الخوف والاحتياط الى سلوك سبيل الاعتدال والاعتدال في كل وقت بارد جامد لا يترك اثراً ولا يحرك وتراً

ان نجيب يجيد الكتابة اذا امتلك حريته واسترسل مع تيار شعوره وكيف يستطيع الاسترسال مع شعوره اليوم وقد عانت صحيفته من التعطيل ما لم تعانه اية صحيفة اخرى حتى كادت صحيفته تمحي من الوجود لا من القلوب ..

ويأتي يوم تنشر الصحف بصحيفة بيضاء ..

اما كتاب (نضال) فهو مقالات حرة بل قصائد خالدة ودروس بليغة في الاخلاص والتضحية وهي قنابل تدك حصون الباطل وتبني على انقاضه صروح الحق وما ذلك الا انه كتبها في وقت كان يمتلك به من الحرية اكثر مما يمتلكه الآن فهو وان كان حينما كتبها مهدداً بالمحاكمة والسجن والغرامة فان هذه ما كانت تثل من عزمه ولا تخفف من حماسه، اما اليوم فهو حينما يكتب يرى نفسه مهدداً بالتعطيل الذي يراه اعظم من السجن والشنق اذ يحطم قلبه ويعرقل سيره ويمزق رسالته الى الشعب والعالم وما التعطيل عند نجيب الا الموت الموقت وهو اعظم من الموت الدائم

وهذا التهديد بالتعطيل هو الذي اصبح يعرقل سير قلمه ويجعله يجرى

في ميدان غير ميدانه ومتى جرى الجواد فى غير ميدانه لم يأمن العثرة ولم يطمع في السبق وان فيما يكتبه نجيب ميزة اخرى قلماً تجدها فى غيره وهي انه كما يستطيع ايقاد نار الثورة فى قرائه يستطيع ان يستذرف دموعهم متى شاء . اذكر منها مقالهاو خطبته التأبينية على قبر المرحوم الملك فيصل ومقاله في جنازة المرحوم المجاهد درويش البكري

اجل ان نجيباً كاتب وشاعر فهو يستطيع ان يدخل عواطفك بلا استئذان فيبكيك ويضحكك ويحزنك ويفرحك ويثيرك ويغضبك

وما قلم نجيب الا قيثارة اوتارها الحساسة

تحرك كيف شئت لنا قلوباً فهل بيديك اوتار القلوب

إبر النحل

الفصل الخامس

مبادة نحل

وعد ادوار! ووعد بلفور!..

لقد وفى الانكليز في تاريخهم بوعدين وعد الملك لامرأته ووعد بلفور لليهود والوعد الثاني هو ايضاً وعد الملك لامرأته ! ولكن الفرق بينهما ان الحكومة البريطانية وافقت على الثاني ولم توافق على الاول، والسبب في ذلك ان الوعد الثاني دفع ذهباً والوعد الاول لم يدفع وكل عقد لا يبنى على اساس الذهب فهو باطل في الشرائع الانكليزية اما القلب والعاطفة والقول فلا قيمة لها في العقود البريطانية وهذا يدل على ان الانكليز واليهود يتحدون في اصل من اصول النسب وهو عبادة الذهب اذن لزواج بينهما صحيح !

الامير عون

لا يظن القارىء اننا نقصد المرحوم الشريف عون وانما نقصد الامير عون الذى جاء مع خالد بن الوليد سنة ١٣ هـ واشترك في واقعة اجنادين واذا كان عون اميراً فلماذا لا يكون خالد بن الوليد وهو القائد العام (باشا) فنقول خالد باشا بن الوليد وهل نستكثر عليه هذا اللقب .

اما الذى حاد لاول مرة على عون بلقب الامير فهو امير البيان الاستاذ شكيب ارسلان حيث قال فى مقدمة ديوان اخيه المرحوم نسيب ارسلان ان اجداد هذا البيت (اعني الارسلانى) اشتركوا في جهاد الفتح الاسلامي في سوريا فحضر الامير عون المتوفي سنة ١٣ هـ فى واقعة اجنادين وتوفي جريحاً وكان قد حضر مع خالد بن الوليد من العراق الى الشام »

فاذا كان السبب في تلقيب عون بالامير هو انه من اجداد الامير شكيب ارسلان وان اجداد الامير كلهم امراء فلا بد وان يتسلسل لقب الامير في اجداده حتى يصل الى الامير (آدم) عليه السلام (مع علمنا ان لقب امير لم يطلق الا على قائد الجيش الاعلى) على ان هذه سوف تحدث مشكلة كبرى تكون مشكلة ولكن لا بأس في ذلك فليصبح كل فرد من

بني آدم وهو اشرف المخلوقات اميراً ولكننا نتسائل حينئذ على من يكون كل فرد من البشر اميراً

فهل يكونون امراء على بعضهم . وهذا غير ممكن لان المثل يقول (انا امير وانت امير فمن يسوق الحمير)

مبادة نحل

سدارة فائز سلامه

دخلت يوماً في المقهي العربي فوجدت صديقي الاستاذ فائز سلامه واقفاً امام المرآة يصلح هندامه فقلت له انى لاعجب منك ومن ذوقك الرقيق كيف تطيق النظر في المرآة فقال لي انظر لقد اصبحت ببركة السدارة جميلا برغم انف الجمال ثم رأيته وضع السدارة على الكرسي وجلس فوقهـا فقلت له اتجعل زينتك من تحتك فقال نعم حسب الموضه الحديدة فانشأت فيه هذين البيتين :

يسير ويزهو فائز بسـدارة ... تراها فتخشى منه شدة بأسه

ولـكن على الكرسي يجلس فوقها ... ففي سفله حينا وحينا برأسه

ولما سمعها استحسنها وقال لقد اجزت اذاعتها وحفظها وتحيتي بهما في كل محفل وناد لانى اراها افضل من وسام الاستحقاق السوري .

فائز واللؤلؤم

جاءني يوماً صديقي فائز سلامه فرأيته محمر العينين منخسف الصدغين كاسف الوجه فقلت له مابالك فقال اسكت لقد كدت اموت البارحة من مرض الم بي فقلت له وهل كنت قبل المرض مدعواً الى وليمة فقال نعم فقلت سبحان الله مارأيتك مريضاً الا وجدتك قبل المرض مدعواً الى وليمة واني ابشرك بانك ستموت ان مت غداً شهيد وليمة كبرى تقام في دار احد الاكابر واذا قال احد الشعراء قديماً يرثي خليفة مات بين الكأس والطاس.

هكذا فلتكن منايا الكرام بين ناو ومزهر ومدام

فاني استطيع منذ الآن ان ارثيك متنبئاً بكيفية موتك غداً فاقول :

هكذا فلتكن منايا الانام بين صحن وقصعة وطعام

فاجابني قائلا ارجو ان تصدق نبوءتك واني أؤمن بها منذ الآن لاني وجدت جدي وابي وخالي قد ماتوا بداء التخمة .

والآن نغتنم هذه المناسبة داعين اصدقاء فائز سلامه وعارفي فضله وادبه ان يمتنعوا عن دعوته الى اي وليمة كانت حفظاً لحياة شاعر الصعاليك الذي اذا مات اخوانه من الجوع فسوف يموت ميتة الاكابر من التخمة !

عبادة نحل

فؤاد علامه

من اخبار بيروت المنسورة في الف باء عدد امس ان احد المساجين من اصحاب السوابق المشاهير تعهد للحكومة بانه متى اطلق سراحه فانه سوف يلقى القبض على فؤاد علامه .

ولو صح ذلك التعهد واطلق سراح ذلك السجين الجاني للقبض على فؤاد علامه فبأي طريقة ياترى يستطيع اكتشاف مكمنه للقبض عليه اعتقد انه سوف يستعمل الطريقة الآتية وهي :

روى لي احد المعلمين في الكلية الاميركية بطهران قال كنت مشتركا في احدى الصحف الاميركية الانجليزية التي تصدر في نيويورك فرأيت فيها ذات يوم اعلاناً غريباً وذلك ان احد النواة فى نيويورك اضاع حماراً له وقد وضع في ادارة الجريدة جائزة بمبلغ ٥٠ دولاراً لمن يجد الحمار (فلتسمع حميرنا المسكينة الرخيصة وياليتها تذهب الى نيويورك ليرتفع ثمنها فان سبب نزول اسعارها لا يعود الى كثرة السيارات عندنا فانها لاتعد شيئاً ازاء السيارات في نيويورك ولكن السبب هو كثرة الحمير عندنا) .

قال الراوي وتكرر نشر الاعلان المذكور في اربعة اعداد من تلك الجريدة ثم جاء العدد الخامس منبئاً بهذه النتيجة السارة وهي ان الحمار وجد بطريقة غريبة وذلك ان فلاناً المجنون جاء الى ادارة الجريدة وقال تعهدوا

لي بالجائزه وانا آتيكم بالحمار فتعهدوا له وبعد ان غاب بضع ساعات عاد اليهم مع الحمار .

فاستغربوا عجز العقلاء عن اكتشاف الحمار وعثور المجنون عليه فسألوه عن الطريقة التي اكتشفه بها فقال قلت في نفسي لو كنت حمارا واردت ان اختبيء فاين اذهب لاريب اني ساذهب الى المكان الفلاني واختبيء فيه فذهبت الى ذلك المكان فوجدت الحمار مختبئًا فيه .

واظن ان ذلك السجين الجاني سيتخذ هذه الطريقة لا كتشاف فؤاد علامه وها اني اكتب ذلك وقد عزمت على عدم السفر الى لبنان خوفا من ان التقي بفؤاد علامه الذي ان عفا عن كيسي الخالي فسوف لا يعفو عن دعابتي الخشنة واذا كتب الله لي السلامة من فؤاد علامه الذى سيلقي ذلك السجين الجاني القبض عليه فلست آمن السلامة من ذلك السجين الذى سوف يحتل مقام فؤاد علامه وسوف يداعبني كما داعبته .

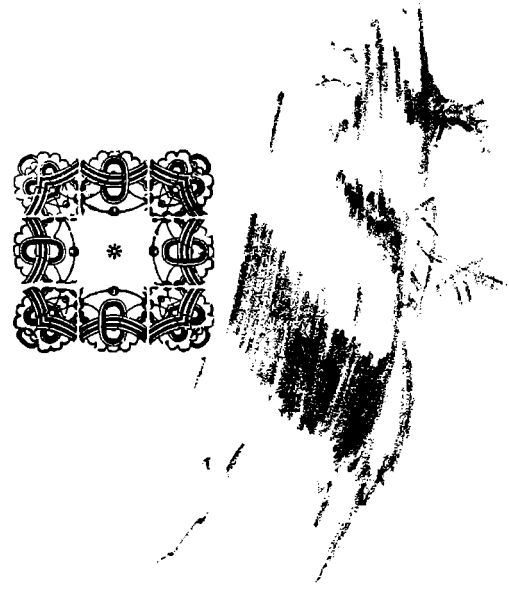

مطبخ الرئيس

قول الاستاذ فائز سلامه ان اكبر المصاب في الحياة هي ان تدعى الشخص الى وليمتين في وقت واحد ، وقد قال له ضيم يمكنك استاذ ان تتيب عنك اكولا فاجاب ذلك غير ممكن اذ لا احد حداً تطمع اقوم به بشخصي وبي واني لأحتج على كل من يدعوني الى وليمة وتكون الدعوة في يوم الوليمة لاني احتاج الى يوم آخر اصوم فيه عن الطعام لاستعد لتلك الدعوة وهذا هو الوقت الذي اصوم فيه واعرف ربي! فقيل له اذن كيف تقول .

رمضان عند الناس شهر واحد لكن عمري كله رمضان

فقال ذلك شعر واعجب الشعر اكذبه .

جل ان فائز يصوم عن الاكل في بيته ولكن ذلك لا دائماً ،فكثيراً ما هو في بيوت الناس وفي غير فراشه

ولنرجع الى حديث الاكل فنقول انه بمناسبة وصول الدعوة اليه الى وليمة رياسة الجمهورية يقدم احتجاجه على صفحات الجرائد لان مثل هذه الدعوة تحتاج الى ان تقدم له قبل اسبوع من وقتها ، نظراً الى ان مطبخ

الرئيس رئيس المطابخ ، على ان هناك مشكلة اخرى وهي انه كيف يستطيع الصوم عن الولائم في اثناء ذلك الاسبوع ولكن بارك الله في كربونات الصوديا ! ؟

مباءة نحل

السماء واستفتاء السار

رأى القارىء في احدى البرقيات الواردة امس البرقية الآتية :

« برلين — ستقرع نواقيس الكنائس الانجيلية في المانيا يوم ١٢ الجاري من الساعة ١٨ الى ١٩ مناسبة استفتاء السار استنجادا بالسماء » .

فيظهر ان المانيا قد اتخذت جميع الوسائل لترجيح كفة الاستفتاء في السار فهي بعد ان بنت دعايتها في الارض اخذت تبث دعايتها في السماء لكي تعطي رأيها .

والذي نراه هو ان تترك السماء على الحياد لانا نخشى اذا اعطت السماء رأيها لالمانيا ان لا يقبل رأيها في جامعة الامم لان مملكة السماء ليس لها صبغة رسمية في الجمعة وليس لها ممثل وليس لها كرسي لا دائمي ولاموقت اي انها اقل شأناً في الجامعة حتى من دولة الحبشة وهذا هو السبب الذي جعل المانيا تطمع في ضمها اليها اذ لم تجد في باقي الدول الا ستعمارية من يطمع فيها او يخاف منها .

ونحن نخشى اذا استمرت المانيا على قرع نواقيسها تحت سمائها وادخلت الرعب في قلب فرنسا ان تضطر فرنسا ايضاً الى ان تقرع نواقيسها تحت وحينئذ تنتقل معركة الاستفتاء من الارض الى السماء .

اذن فلاجدر بالمانيا ان تترك السماء على الحياد !

الاقتصاد في الموت

لقد اثرت الازمة في البلاد وتدولت كل الشؤون حتى اضطر الناس الى الاقتصاد في كل واجبات الحياة بل سرى الاقتصاد الى الموت ايضاً والى القارىء الحكاية الآتية التي تدل فضلاً عن الاقتصاد في الموت على ما بلغت اليه قيمة الفن في هذه البلاد فهي تثبت ان الفنان لاقيمة له هنا لا في حياته ولا بعد مماته على عكس قول القائل « ان الاديب حياته بمماته » اما الاديب او الفنان الذي يحيا بعد مماته فهو اما ان يكون دجالاً في الفن والادب واما ان يكون مستنداً الى اسرة ارستقراطية دجالة خدمها وحدم تدجيلها بفنه وادبه اما الحكاية فهي :

حدثني احد شراء دمشق المبدعين الخاملين قال : لما توفي ممدوح الشريف نابغة الخط في الشرق العربي لم تهيأ له لفقر حاله لوحة توضع على قبره ويكتب فيها تاريخ وفاته لذلك تداولت الامر مع احد الحفارين الغيورين في دمشق وسألته ما التدبير ؟ فقال بعد ان فكر ملياً . التدبير هو ان نأخذ لوحة ابي ممدوح ونمحوها ثم نعيد حفرها باسم ممدوح ونكتب في اثنائها تاريخ وفاة أبيه فنجمع تاريخ وفاة الاب وابنه في لوحة واحدة ونكون بذلك قد بالاقتصاد اللازم على ان تقوم انت بنظم ابيات التاريخ

فقبت وهكذا كان ، اليس هذا اغرب نوع من انواع الاقتصاد وربما ادى المستقبل الى دفن الابن في قبر ابيه !

وهذا الاقتصاد في الموت هو من مبتكرات في البلاد العربية حيث قام به شعور وحنان على انا نخشى ان لا الاقتصاد جميع الفنانين فربما لاتكون لابائهم لوحات قبور وربما تكون قبورهم قد محت من اصولها اثر الفنانين بعد اليوم ن لوحات قبورهم (بدون تاريخ) وان يحفروا قبورهم بالمد ـ

مباءة نحل

جهنم ! (١)

لقد جاءتني الدعوة لالقاء قصيدة في هذا النادي الموقر الذي يضم افاضل الرجال وفضليات النساء ، وقد شعرت بحراجة موقفي عندما فكرت في اختيار الموضوع الذي يناسب هذا الحفل الكريم ، وقلت في نفسي ان اخترت موضوعا لطيفاً فانه لا يناسب الجنس الخشن ، وهذه اول مرة اشعر فيها بالحيرة من هذا النوع فقد تعودت فيما سلف على مخاطبة الجنس الخشن وحده ، وقد ادركت اليوم المشقة العظمى التي يعانيها من يعاشر الجنس المختلط وكيف يستطيع ان يحادثهم ويرضيهم فان الجنس المختلط كالجيش المختلط ! ، على اني فكرت في اختيار موضوع يجمع بين الجنسين فاخترت موضوع « جهنم ! » أليست جهنم اعظم ما يجمع بين الجنسين !

اما لماذا اخترت جهنم ولم اختر الجنة فذلك لاني لست من اهل الجنة فاذا رأيتموني اشيد بذكر جهنم وامدحها واتغزل بها واذكر لكم انها كلها محسن على عكس ما سمعتم حتى اليوم فلا تلوموني على ذلك لسببين ، الاول هذا البرد الشديد ! و هو ان جهنم وصي وحب الوطن من الايمان !

---

(١) جاءت دعوة الى المؤلف ليلقي قصيدة في النادي الادبي الارثوذكسي بدمشق فاعد قصيدة بعنوان « نشيد جهنم » وقد قدمها بهذه الكلمة .

صيادة نحل

(فنانه) و (ربيز) !

لا اعلم من هو هذا الحفار الذي يشتغل دائماً في نبش قبور اللغة واخراج الكلمات الميتة منها التي قتلها الذوق ودفنها الفن ومرت عليها عصور متطاولة وهي راقدة ، رقدتها الابدية . حتى يطلع علينا كل مدة بميت قديم بالي الاكفان والعظام .

لقد اكتشف الاستاذ المبارك سامحه الله قبل بضع سنوات كلمة « اخرنباق » فاسمجتها الاذواق ولكن بقيت تركها الالسن على سبيل التفكهة وتذكرها كلما ذكر المبرك حتى قال بعضهم ربما ينسى اسم المبارك يوماً من الايام ولكن يبقى خالد الذكر بهذا الاكتشاف المسجل باسمه حتى اصبح ذكر « اخرنباق » وحده كافياً لالفات نظر الى الاستاذ المبارك ، كأنما هو اسم دن له !

اجل انه بالرغم عن مرور هذه السنين المتطاولة على التلفظ بكلمة « اخرنباق » في مجالس التفكهة واحاديث الهزل ، وهي لم تتلطف بكثرة الاستعمال ولا تلك الفكاهات ولم تستسغها الاذواق ، فزفي اللغة كلمات ميتة ويجب ان تبقى ميتة ، لانها فاقدة لعناصر الحياة ، وليس كل ما يدفن في الارض جدير بالاخراج

واليوم نسمع باكتشاف كلمة جديدة قديمة وهي كلمة « ربيز » لتستعمل

بدل كلمة « فنان » التي استساغتها الاذواق وارتاحت الى استعمالها الالسنة بالرغم عن الدعايات السيئة التي قامت ضدها استناداً الى ان كلمة « فنان » كانت تطلق على حمار الوحش ، وقد بقي الادباء ورجال من يرددون هذه الكلمة وان جاءت في وصفهم

اما كلمة « ر » فلا نظن احداً من الادباء يرتاح اليها او يقبل تسميته بها ولو كانت حاوية لاعظم الصفات واسمى المزايا

وماذا علينا لو كلمة « فنان » الرقيقة المأنوسة من الحمار واعطيناها للاديب واعطينا الحمار بدلا عنها كلمة « ربيز » ؟ هذا اذا كان الحمار يقبل كلمة « ربيز » اما اذا رفضها فانها سوف تعود الى قبرها في قواميس اللغة وتنام نومتها الابدية الخالدة وتبقى كلمة « فنان » مشتركة على الحسب بين الاديب والحمار ، فاذا كان الحمار لا يقبل كلمة ربيز فكيف الاديب !

هنا نرى من المناسب ان نذكر نكتة فاه بها الاستاذ شفيق جبري حول كلمة « ربيز و فنان » عندما سمع انه استعمال كلمة « ربيز » بدل « فنان » لان الفنان حمار الوحش قال « اذا كان الفنان حماراً فربيز كديش »

والآن نوكل الامر الى اذواق الادباء ليبدوا رأيهم في ترجيح احدى الكلمتين الا الاستاذ المبارك الذي نعتقد انه سوف يرجح كلمة « ربيز » .

الى الشباب المتأدب

الوصايا العشر في الادب

سألني احد المتأدبين من الشباب ان اصف له الطريقة التي تجعل منه اديباً ناضجاً فكتبت له الوصايا الآتية :

١ — يجب ان يكون اهتمامك بان تتم امرار الحياة لا بان تكتبها للناس ، فانت في حاجة الى الغذاء الفكري اكثر من حاجتك الى تغذية افكار غيرك ، وانت لا تستطيع ان تجعل المجتمع يجني ثمارك ما لم تتعهد اولا بغرس اشجارك وتربيتها ، والا كنت كالحصرم الذي يسرع فيصير زبيباً فلا يذوق الناس منه الا الحموضة والقشور .

٢ — عليك بمطالعة الكتب القديمة والتأمل فيها فان فيها اكبر مادة للتفكر والادب ، فعليك هذه الكتب تلمذ الغزالي وابن رشد والجاحظ والمعري وابن خلدون وامثالهم ، كما يجب عليك ايضاً مطالعة الكتب الحديثة الراقية ، ولتكن مطالعتك مطالعة فكر ودرس لا مطالعة اطلاع وتلاوة وانت اذا طالعت كل يوم صفحة في كتاب على سبل الدرس والتحليل وناقشت اراء مؤلفه فذلك خير لك من مطالعة الكتاب باجمعه دون درس ولا تمحيص .

٣ — عليك بمعاشرة طبقات المجتمع الجاهلة والتدقيق في درس حياتهم ،

فكثيراً ماتستفيد من معاشرتهم ودرس مالا تستفيده من مطالعة مجموعة من الكتب فهؤلاء الجهال الذين تحتقرهم هم مادة الباحث وكتاب العارف .

٤ — كن مخلصاً في كل اعمالك ليفيض اخلاصك على فنك .

٥ — كن رقيق القلب عطوفا على الضعفاء فان رقة القلب اعظم ينبوع الوحي والالهام وهيهات ان ينزل الوحي على القلوب القاسية المتحجرة .

٦ — كن مخلصاً لفكرك ولو جاء مختلفاً لكل ماانشأت عليه من عادات وتقاليد وعقائد .

٧ — كن جريئاً في اظهار ماتعتقده حقاً ولو كان مخالفاً لمصلحتك الشخصية او مثيراً للمجتمع عليك .

٨ — لاتستعظم شيئا ولا تحتقر شيئاً في الوجود ففي كل شيء سر كامن يجب ان تحترمه وتفهمه ، فان العظمة والحقارة ليست موجودة فى ذات الاشياء بل في نظر الانسان اليها فلا تكن نظرتك الخاصة او نظرتك النسبية السائدة دونك ودون فهم حقائق الاشياء

٩ — ايلك والكذب ، فانه الفكر والعقل ، ومن يكذب في كلامه يكذب فى فكره ايضا

١٠ — انفرد كل يوم لنفسك ساعه واصرفها فى تأمل سر الكون ودقائق المجتمع وقايس بين الفاسد منها والصحيح و مل في عيوبك واسع بقدر امكانك الى اصلاحها .

ملاحظة : بعد ان تمر عليك سنوات وانت تعمـــــــل بهذه الوصايا يحق لك حينئذ الشروع في الـكتـابة لتفيد المجتمع بعلمك وادبك وفنك .

زفرة على حافظ (١)

الشعراء الذ سمعت بهم ولم ارهم في حياتي على اقسام : منهم من ابغضتهم غيابا ومنهم من احببتهم غيابا ، ومنهم من لم احبهم ولم ابغضهم اما الذين احببتهم غيابا فهم قسمان ايضاً منهم من بقيت اتمنى طول حياتي من اراهم واتصل بهم ، ومنهم من احببتهم ولم اتمنى اراهم . فاما الذين اعجبني شعرهم ولم تعجبني حياتهم واما الذين احببتهم وتمنيت ان اراهم فهم الذين اعجبني شعرهم وحياتهم معاً وشاعرنا الخالد حافظ ابراهيم هو في طليعة اولئك الشعراء الذين احببتهم وتمنيت ان اراهم واعاشرهم ما حييت لانني اعجبت بشعره وحياته معاً فقد كانت حياته في نظري المثل الاعلى لحياة الشاعر الذي مهما تسامت روحه لا يبرح يحس انه جزء من الكون يحب الاتصال بسائر اجزائه فلا يتكبر على شيء ولا يصغر امام شيء منها اذ يرى كل شيء في الوجود مماثلا ونظيراً له ولا يمكن ان يكون الشاعر الا كذلك . اما الذي يتكبر على شيء من الكون فانه لا يلبث ان يتصاغر امام شيء آخر ، ومثل هذا المخلوق لا يمكن ان يكون شاعراً ولو ملأ الكون من منظوماته

اجل لقد كنت ارى في شاعرنا الخالد حافظ ابراهيم المثل الاعلى لما

---

(١) كتب المؤلف هذه الكلمة لتلقى في مهرجان احياء ذكرى حافظ المئوي اقامته في القاهرة وقد بعثها اجابة لطلب لجنة المهرجان

يجب ان يكون عليه الشاعر من روح عالية متواضعة فكهة كريمة لا تذعن لسنة من سنن الحياة الا ما يمليه عليها شعورها النبيل

لقد كانت حياة حافظ كلها شعراً رائعاً لو نظمت لجاءت ديوانًا اوسع من ديوانه واروع منه صوراً ذلك لان الشاعر لا يسجل في ديوانه الا النزر اليسير مما يسعر به وكأنه الشاعر الحقيق يرى الحياة امامه قصيدة رائعة المعاني والالفاظ ، اما فظواهر الاشياء واما معانيها فبواطنها ولكن تلك القصيدة لم تدخل في بحور الخليل اذ نظمت قبل ان يحس الخليل اجل ان الشاعر — المزهوب لا يريد ان تخضع الحياة لقيود البحور والقوافي فان ذوقه الحي وحبه للجمال المطلق يمنعانه ان يشوه جمال الحياة ويفسد فنها بوضعها في قيود القوافي والاوزان فكثيراً ما تضطره تلك القيود الى ان ينقص شيئًا من الحياة او يزيد شيئًا عليها ارضاء لخاطر الوزن والقافية

وفي الختام اقول لقد كان حافظ رحمه الله قصيدة خالدة رائعة في ديوان الكون كما كان ديوانه قصيدة رائعة في ديوان الشعر

المجمع اللغوى المصرى

وقصة الحرف !

يظهر ان الذين يستغلون في اللغة وفى الابحاث اللغوية تصبح لديهم الكلمات الغريبة مأنوسة مألوفة حتى كأنها اللغة التي نشأوا عليها فى احضان امهم وكان كثرة مراجعة اللغة قد ذوق ارباب قلوبهم لا يدركون وحشة بعض الكلمات واستهجان السمع لها فيصبحون معهم عائشون في عصر البداوة الجاهلية ذلك العصر الخشن الذي كان يستعذب الخشونة عيشه اخشن الكلمات وكان هؤلاء المشتغلين باللغة ليسوا عائشين اليوم في عصر النور والكهرباء وعصر الرقة والظرف والترف ويظهر ان هؤلاء نسوا ان تنسوا الاصول والقواعد البيانية التي تنهى عن استعمال الكلمات المتنافرة الحروف والمستهجنة مثل كلمة (المجرش) في قول الشاعر (كريم المجرش شريف النسب)

ومثل الكلمات المعربة فى حكاية ذلك المتقعر الذي ثارت في رأسه السوداء فاجتمع عليه الناس فصاح بهم قائلا « مالكم تكأكأتم على كتكأكؤكم على ذي جنة افرنقعوا عني »

والآن فلنعد الى موضوعنا الذي عقدنا له هذا البحث ؟ لقد تأسس المجمع اللغوي المصري منذ سنوات وخصصت له الحكومة اموالا طائلة

لتعرف عليه وعلى اعضائه لا سيما الاعضاء الذين يسافرون اليه من مختلف الاقطار ليتدمو الى مائدة اللغة العربية لشتى الالفاظ وانسبها لذوق العصر اللطيف فاذا بهم يأتوننا بعد الجهد بكلمات يشمئز منها الذوق وينفر منها السمع ويرفضها الخواص قبل العوام وكانهم يريدون ان يحتذوا الاذواق بها حتماً ارضاء لخاطر الفيروز آبادى وابن منظور

لقد جاؤا بهذه الكلمات التالية التي لا تحتاج الى تعليق عليها فان مجرد ذكرها كاف لان يجعل القراء يماشرونني في نقدنا ويشمئزون اشمئزازنا من سماعها وهذا نموذج من تلك البضاعة الراقية الرقيقة :

ظظر التلفون

ارزيز : (١)

طرطار : الترامواي

الشاعر والمشطور والكامخ بزنمها : السندويش

ان جهود المجمع اللغوى الطويلة التي انتجت لنا هذه الكلمات تذكرنا بالحكاية الاتية التي وقعت في بلاد ايران وهي :

يحكى ان رجلا بسيطاً سمع ان كل من يسهر اربعين ليلة متواليةً يقضيها في الاذكار والاوراد والادعية يتوفق في صبيحة الليلة الاربعين الى رؤية نبي الله الخضر عليه السلام وعند ما يراه فاي حاجة يطلبها منه يقضيها له فوراً ولما كان المذكور ذا آمال كثيرة ومطامع كبيرة فقد رأى ان يحقق

(١) نسيت معناها وليتني نسيتها مع معناها

آماله ومطامعه من هذا الطريق الذي حسبه اقصر الطرق لبلوغ آماله فقضى اربعين ليلة ساهراً ذاكراً داعياً متعبداً وقد قاس من العناء والسهر اشكالا والوانا وكان يستعذب تلك الاتعاب في سبيل الوصول الى غايته اليست الغاية تبرر الواسطة .

وبعد ان انتهى من سهر اربعين ليلة جلس في مزرعته منهوك القوى ذابل العينين وهو يلتفت يمنة ويسرة عله يشاهد طلعة نبي الله الخضر فيسأل منه حاجته فمر اكثر النهار والخضر لم يطلع عليه فتألم كل الالم لضياع تلك الاتعاب وخيبة هاتيك الآمال ولما جنحت الشمس للغروب رأى رجل بزي الفلاحين يقبل عليه وما ان وصل اليه حتى حياه فرد عليه التحية ببرودة ولهجة كئيبة فجلس اليه الرجل وسأله مابالك ياصاح اني اراك واجما حزينا فهل جرى لك شيء أو اصابك مصيبة فقال له ياهذا دوني وشأني فحسبي ماقاسيه من احزان وآلام وخيبة آمال فقال له سألتك بالله الا اخبرتني عن سبب حزنك علني اخفف من برحائك فقال له اسمع لقد سهرت اربعين ليلة متوالية قضيتها في الادعية والاذكار والاوراد املا بان ارى في ختامها طلعة الخضر عليه السلام واطلب اليه قضاء حاجتي وهاهو اليوم نهار الاربعين الذي كاد ان ينتهي ولما يطلع علي الخضر فالتفت اليه الرجل وقال له ياهذا هب انني انا نبي الله الخضر فماذا تريد ان اعمله لك فقال له قم واذهب عن وجهي ايكون مثلك نبي الله الخضر . فقال له هبني كذلك واطلب مني ماتريد فنظر اليه صاحبنا نظرة استهزاء وقال له متهكما ان

كنت نبي الله الخضر فاقلب لي هذا المحراث الى مجرفة فما كان من ذلك الرجل الا ان مد يده الى المحراث وباسرع من لمح البصر قلبه الى مجرفة وغاب في الحال عن النظر فحاول صاحبنا التفتيش عنه ولكن دون جدوى فندم على مافرط منه وقام وعاد الى بيته مخذولا منكسراً ولما رأته امرأته سألته الم تر نبي الله الخضر فقال لها اجل لقد رأيته ويا ليتني لم اره فقالت له ولماذا الم تكلفه بامر يقضيه لك فقال لها اجل كلفته فقلب لي المحراث الى مجرفة فسألته وكيف ذلك فقص لها قصته وختمها بقوله لقد كانت نتيجة اتعابي اربعين ليلة هي انا قلبنا المحراث الحديدي الذب يساوي نصف دينار الى مجرفة خشبية لاتساوي اكثر من نصف درهم .

وهكذا كانت نتيجة جهود المجمع اللغوي المصري

(الخاتمة)

ترانزيت فى الاخرة ؟!

بعد ان نشرت كلمتي في احدى الصحف تحت عنوان « الاقتصاد في الموت ! » جلس الي احد الاخوان وصادف ان مر علينا رجل نحيف القامة يرتدي عباءة ويلبس عمامة صفراء فقال لي صاحبي اتعرف من هذا قلت كلا : قال هذا حفار قبور وقد جاءني قبل ايام يشكو الازمة من قلة الوفيات فقلت له ان صحت شكواه ــ ولا اظنها صحيحة ــ فليرفع شكايته الى حضرات الاطباء الذين نغضوا عليه عيشه لعلهم يعطفون عليه ! ثم اضاف محدثي قائلا : ان هذا الحفار قد حفر قبره بيده وبناه بالشمينتو خوفا من الجراذين ! فقلت لصاحبي : اولا يظهر ان البطالة قد دعت هذا الحفار البائس الى ان يشتغل بحفر القبور ولو لنفسه ، وقديماً قال الحكماء : الفكر كالمطحنة ان لم تجد ما تطحنه طحنت نفسها ، ثانياً يظهر ان هذا الحفار قد ابتلى فى حياته بجيوش جرارة من الجراذين نغصت عليه عيشه ، ولا شك انه كافحها بانواع الوسائل وبعد ان امن شرها خاف ان تنغص عليه موته ! وخشي ان يستطيع وهو فى القبر تهيئة وسائل الدفاع ، فتهجم على جسمه اللطيف ! وتنتقم منه بعد الموت ، فاحتاط للأمر وصفح قبره بالشمينتو ، وهذا دليل على البخل الزائد فانه لم يسخ بجسمه حتى بعد الموت لتستفيد

منة الحشرات والحيوانات المسكينة الجائعة ، وزاد محدثي قائلا : ولكن قبر هذا الحفار مبني تحت قبرين ، اي انه قبر تحت قبر ، فقلت له لماذا اختار الطابق الاسفل ؟ فقال لأنه ارخص ! ففهمت حينئذ ان عالم الطبقات وطبقات البنايات ليس منحصراً في الحياه وفي فندق اوربان بالاس ، وفندق امية فحسب بل هو موجود حتى بعد الموت ، وان كانت الحالة هناك على العكس اي انه اذا كان الفقراء في الحياة يسكنون من البنايات العالية التي ليس فيها (اسانسور) فى الطبقات العليا لرخص اجورها نظراً لصعوبة الصعود اليها فانهم بعد الموت يسكنون في الطبقات السفلى من القبور ويكون ذلك تعويضاً لهم عما فانهم في حياتهم ! ولكن عليهم من ذلك خطرين : الاول خطر الانهدام وذلك اذا انهدمت قبور الاغنياء فانهم يقعون فقوق الفقراء ويهدمون قبورهم ومن الطبيعي (في هذه الحالة) انهم يحتلونها وربما استعمروها ! ثانياً خطر عدم وصول الرحمات والدعوات سالمة اليهم حيث تمر على عدة قبور من قبور الاغنياء فيضبطونها في الطريق ويأخذون عليها (ترانزيت) فاذا اخذ كل قبر جمركا على الرحمة ولو (٢٥) في المائة فانها اما ان لا تصل الى صاحبها الفقير اصلا وابا ان يصل اليه منها عشرة فى المائة على الاكثر هذا فضلا عن ان الكمية المرسلة من الرحمة الى الفقراء لا تعد شيئاً مذكوراً ازاء الرحمات المرسلة الى ارواح الاغنياء فان ما يبعث الى ارواح الفقراء انما يبعث اليهم من قبل ذويهم واخوانهم فحسب ، اما الاغنياء فهم فضلا عما يبعث اليهم من قبل ذويهم ومعارفهم الكثيرين !

تبعث اليهم رحمات كثيرة من قبل الفقراء ورجال الدين بسبب الاموال الكثيرة التي تنفق عليهم ليبعثوا بدلها رحمات الى ارواح الاغنياء ، ومن المعلوم ان الرحمة التي تبعث مجاناً لوجه الله قليلة جداً في هذا الزمان . ولا يمكن تخفيف جمرك الرحمات بعقد معاهدة جمركية بين اهل القبور العليا واهل القبور السفلى لأن تخفيف الجمرك يقتضي تشابه الواردات ، وهذا الشرط غير متوفر لان الاغنياء لا تأتيهم ولا ذرة من الرحمة عن طريق قبور الفقراء لأن الرحمة انما تنزل من فوق الى تحت ، ولا تصعد من تحت الى فوق !

بناء على ما سلف فسوف تتكدس الرحمات عند الاغنياء على بعضهم فيصبحون اغنياء حتى بعد الموت وربما فتحوا هناك مصرفاً للرحمات لتسليف الفقراء عن طريق «الفائض»

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٥	المقدمة
	من صور الحياة
٧	رواية من مشاهد الحياة
١٢	كيف يستهوى الشعب
١٥	الدكتور مكرديج نبي
٢٠	كيف اصبحت رأسمالياً
٢٩	طبخ الذهب
	خطرات
٣٩	قصة اديب
٤٣	اكتسحونا في كل شيء
٤٧	رثاء مجلة
٥١	مصرع مقهى
٥٧	حفلة اطفال
٦١	ثلاثة اقانيم فى الشغب
	بين الحب والجمال
٦٧	المرأة التي اريدها

الصفحة	الموضوع
	نظرات
٧٧	نظرة في الشعر
٨٤	كتاب نضال
	ابر النحل
	مباءة نحل
٩٠	وعد ادوار ووعد بلفور
٩١	الامير عون
٩٣	سدارة فائز سلامه
٩٤	فائجز والولائم
٩٥	فؤاد علامه
٩٧	مطبخ الرئيس
٩٩	السماء واستفتاء السار
١٠٠	الاقتصاد في الموت
١٠٢	جهم
١٠٣	(فنان) و (ربيز)
١٠٥	الى الشباب المتأدب
١٠٩	زفرة على حافظ
١١١	المجمع اللغوي المصرى
١١٥	ترانزيت في الآخرة

وهذه بعض الاغلاط الواجب تصحيحها

سطر	صفحة	غلط	صواب
١٦	١٢	الحسد	الحدس
١٤	١٤	شعوذك	شعوذتك
١٠	٢٥	صح	
٦	٢٧	خشيت	خشية
١٣	٣١	الطناجرة	الطنجرة
١٨	٣٢	ارض	ارضى
١٨	٣٢	تاله	تالله

غلط	صواب	صفحة	سطر
كثير	ككثير	٥١	١٣
معكوس	معكوساً	٥١	١٥
على ا تحويل	على اثر تحويل	٥١	١٦
فتحب	فتحت	٥٢	٨
خان	دخان	٥٢	٩
رجلها	رحلها	٥٣	١٤
لمحتاجة	المحتاجة	٥٤	٤
يرغبك	يرعبك	٦٢	١٥
عا لا	عاملا	٦٢	١٩
الحطيب	الخطيب	٦٤	١
عن	من	٦٧	٨
فتدمته	فدمته	٦٩	١٥
مشيراً	مثيراً	٧٠	٧
فعجزت	ففررت	٧٠	١١
باحياء	بايحاء	٧٠	١٧
سا كتة	سا كنة	٧١	٣
يتغلغلي	بتغلغلي	٧١	٨
الى	على	٧١	١١

غلط	صواب	صفحة	سطر
تطمح	تطمع	٧١	١٣
باطمأنانك	باطمئنانك	٧٢	٤
نـكتك	نـكتتك	٧٢	٩
دفعك	دفعني	٧٢	١١
يكفي	بكفى	٧٣	٥
باشغالي	باشتغالي	٧٣	١١
الغربات	الغريبات	٧٤	٧
رابطة	برابطة	٧٤	١٨
المجتع	المجتمع	٧٨	٧
اندية	اندتهم	٧٨	٨
وهو اجسه	وهواجسه	٧٩	٩و١٠
وان تثبت	وان لم تثبت	٨١	١١
نظمك شعرت	نظمك درجة شعرت	٨٢	١٦
جرى	جر	٨٣	١
مرعات	تقعرات	٨٣	٧
لى	على	٨٣	٨
يأس	البأس	٨٤	١٥

غلط	صواب	صفحة	سطر
الاثارة	الانارة	٨٤	١٥
مقالة	مقاله	٨٦	٦
نجيب	نجيباً	٨٧	٦
العشرة	العثرة	٨٨	١
فيما	فيما	٨٨	
اوتارها الحساسة	اوتارها القلوب الحساسة	٨٨	٨
لزواج	الزواج	٩٠	٧
تكون مشكلة	تكون مشكلة الحبشة دوبها مقاماً	٩١	١٥
الحديدة	الجديدة	٩٣	٥
ناو	ناي	٩٤	٨
اخوانة	اخوانه	٩٤	١٤